# أَثَرُ الفائِدةِ فِي الدّرسِ النَّحْوِيِّ

ياسر وليد منون* أ. د. إبراهيم البب** أ. م. د. مصطفى نمر***

**المُلخَّص**

مِن الحقائقِ التي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا النَّظَرِيَّاتُ الْحَدِيْثَةُ الْمُنْصَبَّةُ عَلَى دِرَاْسَةِ اللُّغَةِ، أَنَّ الدِّلَاْلَاْتِ اللُّغَوِيَّةَ تَنْبَعُ مِنَ الْمَوَاْقِفِ الاسْتِعْمَاْلِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ لِلُّغَةِ، بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ التَّوَاْصُلِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيْقَةِ نَبَعَتْ فكْرَةُ الْبَحْثِ –وَهِيَ مَفْهُوْمُ الْفَاْئِدَةِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ– بِوَصْفِهَاْ جزْئِيَّةً لَاْ تَتَجَزَّأُ لِاسْتِمْرَاْرِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِ بِشَكْلِهَاْ السَّلِيْمِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ.

وَقَدْ تَنَاْوَلَ هَذَا الْبَحْثُ تَوْضِيْحَ مَفْهُوْمِ الْفَاْئِدَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاْحاً، والفَرق بينَه وَبَيْنَ الْإِفْهَاْمِ، وَبَيَّنَ أَهَمِّيَّتَهُ فِي النَّظَرِيَّةِ التَّدَاْوُلِيَّةِ الْحَدِيْثَةِ، وَمِنْ ثَمَّ حَاْوَلَ بَيَاْنَ مَدَى وُجُوْدِهِ عِنْدَ عُلَمَاْئِنَا الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى وَتَنَاْوُلِهِمْ لَهُ فِيْ ضَبْطِ قَوَاْعِدِهِمْ، وَإِشَاْرَتِهِمْ إِلَى خُرُوْجِ الْكَلَاْمِ عَلَى الْفَاْئِدَةِ لِلتَّعْبِيْرِ عَنْ شُعُوْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَحَاْسِيْسِهِ، كَمَاْ وَضَّحَ الْبَحْثُ إِشَاْرَةَ الْبَاْحِثِيْنَ الْمُحْدَثِيْنَ إِلَى أَهَمِّيَّةِ هذا المفهومِ وَإِشَاْدَتِهِمْ بِتَنَاْوُلِ عُلَمَاْئِنَا القُدَاْمَى لَهُ، وَأَتْبَعَ البحثُ كُلَّ ذَلِكَ بِدِرَاْسَةٍ تَطْبِيْقِيَّةٍ بَيَّنَ فِيْهَاْ أَثَرَ هَذَا الْمَفْهُوْمِ فِي التَّوْجِيْهَاْتِ النَّحْوِيَّةِ.

الكَلِمَاْت الْمِفْتَاْحِيَّة: الْفَاْئِدَة، السَّاْمِع، الْمَعْنَى.

---

[*] طالب دكتوراه في قسم اللُّغة العربيَّة بكلّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.

[**] أستاذ في قسم اللُّغة العربيَّة بكليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.

[***] أستاذ مساعد في قسم اللُّغة العربيَّة بكليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.

# The Effect of Interest in the Grammar Lesson

*** Yasser Walid Mannoun ** Prof. Ibrahim Al-beb**
***** Prof. A. Mustafa Nemr**

**The Abstract**

One of the greatest facts of modern theories focused on the study of language Linguistic connotations stem from the user positions of language as the tool of communication between the addresser and the addressee.

And from this fact, the idea of research comes out -which is the concept of interest in grammar- as an indivisible part of the continuation of the process of proper communication between the addresser and the addressee.

This research has addressed the clarification of the concept of research in language and terminology, and the difference between it and the understanding; and shows its importance in modern deliberative theory. And then he tried to show how much he was with our old Arab scholars and its use in controlling their rules. And their reference to the departure of speech from the benefit to express the feelings of the speaker and his emotions. The research also showed the reference of the modern researchers to the importance of this concept and their praise for the handling of it by our scholars. The research followed all this with an applied study that showed the impact of this comprehension on grammatical guidance.

**Keywords**: the benefit, the listener, the meaning

(*) Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
(**) Assistant professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
(***) PhD Student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

**المقدِّمة**

سَعَى الْعُلَمَاْءُ الْعَربُ الْقُدَاْمَى –وَهُمْ يُسَطِّرُوْنَ الْقَوَاْعِدَ النَّحْوِيَّةَ لِلْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ– إِلَى أَنْ يَكُوْنَ النَّحْوُ عِلْماً يُفْهَمُ بِهِ خِطَاْبُ الْعَرَبِ وَاسْتِعْمَاْلَاْتُهِمْ، وَقَدْ أَدْرَكُوْا أَنَّ ذَلِكَ يَحْتَاْجُ مِنْهُمْ إِلَى تَدْوِيْنِ اللُّغَةِ فِي الْمَوْقِفِ التَّخَاْطُبِيِّ الْقَاْئِمِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ.

وَإِيْمَاْنُهُم بِأَنَّ دِلَاْلَاْتِ اللُّغَةِ لَاْ يُمْكِنُ أَنْ تُسْتَكْشَفَ إِلَّا مِنْ خِلَاْلِ تِلْكَ الْحَقِيْقَةِ، جَعَلَهُمْ يَلْجَؤُوْنَ إِلَيْهَاْ فِيْ تَفْسِيْرَاْتِهِم النُّصُوْصَ اللُّغَوِيَّةَ وَتَوْجِيْهِهَاْ وَتَعْلِيْلِهَاْ على وفق وَظِيْفَةِ اللُّغَةِ الَّتِيْ يَسْتَهْدِفُ بِهَا الْمُتَكَلِّمُ نَقْلَ أَغْرَاْضِهِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ.

وَلَعَلَّ حَاْجَةَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى نَقْلِ غَرضِهِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ هِيَ الَّتِي جَعَلَت اهْتِمَاْمَ النُّحَاْةِ يَنْصَبُّ عَلَى وَضْعِ قَوَاْعِدَ يَتَفَهَّمُهَا الْمُخَاْطَبُ وَيَتَقَبَّلُهَا بِهَدَفِ حُصُوْلِهِ عَلَى الْفَاْئِدَةِ مِنَ الْكَلَاْمِ وَمِنْ ثَمَّ التَّوَاْصُل مَعَ الْمُتَكَلِّمِ وَتَحْقِيْق حَاْجَتِهِ.

فَلَيْسَ اهْتِمَاْمُ النُّحَاْةِ بالمُخَاْطَبِ إِلَّا لِأَنَّهُمْ أَيْقَنُوا بِأَنَّ الْغَرَضَ الَّذِيْ يَرُوْمُ الْمُتَكَلِّمُ تَوْصِيْلَهُ إِلَى الْمُخَاْطَبِ مِنْ خِلَاْلِ الْكَلاْمِ لَاْ يُمْكِنُ أَنْ يُحَصِّلَ الْمُخَاْطَبُ فَاْئِدَتَهُ إِلَّا إِذَاْ رَاْعَى الْمُتَكَلِّمُ حَاْلَ مُخَاْطَبِهِ.

وَبِنَاْءً عَلَى أَنَّ اللُّغَةَ وُجِدَتْ بِسَبَبِ نَقْلِ أَغْرَاْضِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ رَأَى الْعُلَمَاْءُ الْعَرَبُ أَنَّ الْكَلاْمَ يَجِبُ أَنْ يَحْمِلَ فَاْئِدَةً لِلْمُخَاْطَبِ تَزِيْدُ مَعْلُوْمَاْتِه عَنِ الْمَوْضُوْعِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُ.

وَلَمْ يَجْعَلْهُم هَذَا يَتَغَاْفَلُوْن أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ قَدْ يُعَبِّرُ عَنْ مَشَاْعِرِهِ وَأَحَاْسِيْسِهِ مِنْ دُوْنَ أَنْ يَحْتَوِي الْكَلَاْمُ فَاْئِدَةً جَدِيْدَةً لِلْمُخَاْطَبِ؛ وَذَلِكَ نَاْبِعٌ مِنْ إِيْمَاْنِ عُلَمَاْئِنَاْ بِأَنَّ اللُّغَةَ قَاْدِرَةٌ عَلَى أَنْ تُعَبِّرَ عَنْ شُعُوْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَحَاْسِيْسِهِ وَلَيْسَ غَاْيَتُهَاْ دَاْئِماً نَقْلَ فَاْئِدَةٍ لِلْمُخَاْطَبِ، وَإِنْ كَاْنَ الْأَصْلُ فِيْهَاْ ذَلِكَ.

**أهمية البحث وأسئلتُه:**

يَتَنَاْوَلُ هَذَا الْبَحثُ الْكَشْفَ عَنْ ظَاْهِرةٍ تَدَاْوُلِيَّةٍ مُهِمَّةٍ فِي الدِّرَاْسَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَهِيَ "مَفْهُوْمُ الْفَاْئِدَةِ"، وَهُوَ بَحْثٌ ذُوْ أَهَمِّيَّةٍ كُبْرَى؛ لِأَنَّهُ يَسْتَهْدِفُ الرَّبْطَ بَيْنَ التُّرَاْثِ الْقَدِيْمِ وَمُعْطَيَاْتِ الْوَاْقِعِ الْحَدِيْثِ، وَهَذَا الْهَدَفُ لَيْسَ نَاْبِعاً مِنْ تَعَصُّبِنَاْ لِلْقَدِيْمِ أَوْ إِعْجَاْبِنَاْ بِالْحَدِيْثِ، وَلَكِنَّهُ نَاْبِعٌ مِنْ إِيْمَاْنِنَاْ بِضَرُوْرَةِ النَّظَرِ إِلَى الْقَدِيْمِ بِمَنْظُوْرٍ حَدِيْثٍ يَسْتَجِيْبُ لِلْحَاْجَةِ الْمُلِحَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَضَرُوْرَةِ الْعَوْدَةِ إِلَى التُّرَاْثِ الْقَدِيْمِ وَتَنْظِيْمِهِ تَنْظِيْماً يُبْرِزُ مَدَى بَرَاْعَةِ عُلَمَاْئِنَا الْقُدَاْمَى فِيْ ضَبْطِ لُغَتِهِم وفقاً لأَبْرَزِ حَقِيْقَةٍ تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا النَّظَرِيَّاْتُ الْحَدِيْثَةُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

أَمّا الأَسْئِلَةُ الّتي يُحَاوِلُ البَحْثُ الإِجَابَةَ عَنْهَا فَتَتَمَثَّلُ فِي الآتي:

أ- مَا مَعْنَى الفَائِدة؟ وَمَا عَلَاقتُها بِالدَّرْسِ اللُّغَوِيّ؟

ب- كَيفَ تَجَلَّت الفَائِدَةُ فِي الدَّرسِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ القَدِيْمِ؟

ج- مَا مَوْقِفُ البَاحِثِينَ العَرَب المُحْدَثِينَ مِن مَفْهُومِ الْفَاْئِدَةِ؟

د- مَا عَلَاقةُ الفَائِدَةِ بِالتَّوْجِيْهِ النَّحْوِيّ؟

**حدود البحث:**

يَتَنَاوَلُ البَحْثُ مَفْهُومَ الفَائِدَةِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيّ مُتَحَدِّثاً عَنْ دلَالةِ هَذَا المُصْطَلَحِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً، وَارتِبَاطِهِ بِالنَّظَرِيَّةِ التَّدَاوُلِيَّة، مُفصِّلاً تَنَاوُلَ العُلَماءِ العَرَبِ القُدَامَى هَذا المُصطَلَحَ، وَعَلَاقَتَه بِالقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ، مُشِيراً إِلَى خُرُوْجِ الكَلَامِ عَن الفَائِدَةِ فِي الظَّاهِرِ، مُتَوَقِّفاً عِندَ مَوقِفِ بَعْضِ الْبَاحِثِيْن المُحْدَثِيْن مِن هَذَا الْمُصْطَلَحِ، مُبْرِزاً عَلَاقتَه بِالتَّوجِيه الإِعْرَابِيِّ.

**منهجيَّةُ البحثِ:**

يُعَدُّ الْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ جزْءاً مُهِمّاً فِيْ نَجَاْحِ الْأَبْحَاْثِ الْمُنْجَزَةِ؛ لِأَنَّهُ يَضْمَنُ تَنْظِيْمَ الْمَاْدّةِ وَبَيَاْنَهَاْ بَيَاْناً عِلْمِيّاً مَضْبُوْطاً، وَلِهَذَا سَأَتَّبِعُ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ فِيْ رَصْدِ هَذِهِ الظَّاْهِرَةِ عِنْدَ النُّحَّاْةِ وَإِظْهَاْرِ آرَاْئِهِم فِيْهَاْ، وَمَدَى اعْتِمَاْدِهِم عَلَيْهَاْ فِيْ تَقْعِيْدِ لُغَتِهِمْ، وَتَوْجِيْهِهَاْ تَوْجِيْهاً يَضْمنُ لَهَا الاسْتِمْرَاْرَ وَالْبَقَاْءَ.

- **مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:**

**مفهوم الفائدة:**

قَبْلَ الْخَوْضِ فِيْ مُفْرَدَاْتِ هَذَا الْبَحْثِ لَا بُدَّ مِنَ الْوُقُوْفِ عَلَى الْمُصْطَلَحِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ لَنَاْ مَجَاْل فَهْمِ هَذِهِ الظَّاْهِرَةِ، وَمَدَى عَلَاْقَتِهَاْ بِاللُّغَةِ، وَبِنَاْءً عَلَى ذَلِكَ يَكُوْنُ تَأْسِيْسُ مُفْرَدَاْتِ هَذَا الْبَحْثِ وَاْضِحاً جَلِيّاً يَقُوْمُ عَلَى التَّمَاْسُكِ وَالتَّرَاْبُطِ.

**الفائدةُ لُغةً:**

جَاْءَ فِيْ لِسَاْنِ الْعَرَبِ أَنَّ "الْفَاْئِدَةَ مَاْ أَفَاْدَ اللهُ تَعَاْلَى الْعَبْدَ مِنْ خَيْرٍ يَسْتَفِيْدُهُ وَيَسْتَحْدِثُهُ وَجَمْعُهَاْ فَوَاْئِدُ... وَالنَّاْسُ يَقُوْلُوْنَ: هُمَاْ يَتَفَاْوَدَاْنِ، أَيْ: يُفِيْدُ كُلُّ وَاْحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ[1]".

وَقَدْ جَاْءَتْ كَلِمَةُ الْفَاْئِدَةِ فِي مُعْظَمِ الْمَعَاْجِمِ بِمَعْنَى مَاْ يُسْتَفَاْدُ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَاْلٍ، يَقُوْلُ الرَّاْزِي فِيْ مُخْتَاْرِ الصِّحَاْحِ: "الْفَاْئِدَةُ: مَاْ اسْتَفَدْتَهُ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَاْلٍ... وَأَفَدْتُ الْمَاْلَ: أَعْطَيْتُهُ، وَأَفَدْتُهُ: أَيْضاً اسْتَفَدْتُه[2]".

وَمِمّا سَبَقَ نَسْتَنْتِجُ أَنَّ الْفَاْئِدَةَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْعَطَاْءِ وَالانْتِفَاْعِ مِنَ الشَّيْءِ، تَقُوْلُ مَثَلاً: "إِنَّ" تُفِيْدُ التَّوْكِيْدَ أَيْ: تُعْطِي التَّوْكِيْدَ.

---

([1]): ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ج3، ط1، دار صادر، لبنان، د.ت، مادة (فيد).

([2]): الرازي، محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، مادة (فيد).

**الفائدةُ اصطلاحاً:**

جَاءَ فِي الكلِّيّاتِ لِلْكَفوِيّ أَنَّ "الفَائِدَةَ اصْطِلاحاً مَا يَتَرَتّبُ عَلَى الشَّيْءِ وَيحْصلُ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ إنّهَا حَاْصِلٌ مِنْهُ[1]"، وَيَرَى أَنَّ الْإِفَادَةَ "تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَعَانِي الْمَفْهُوْمَةِ بِالدِّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ، أَعْنِي الْمَعَانِي الثَّوَانِي، وَهيَ الْخَوَاصُّ وَالْمَزَايَا، وَالدِّلَالَة تُسْتَعْمَلُ فِيما يُفْهَمُ بِالدّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ، أَعْنِي الْمَعَانِي الأُوَلَ الَّتِي هيَ الْوَسَائِلُ إِلَى الْمَعَانِي الثّوَانِي؛ وَالْمَلْحُوْظُ فِي الْإِفَادَةِ جَانب السَّائِلِ، وَفِي الدِّلَالَةِ جَانِب اللَّفْظِ أَو المُتَكَلِّمِ[2]".

وَيَبْدُو مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْفَائِدَةَ هِيَ الْمَعَانِي الثَّوَانِي الَّتِي تُفْهَمُ مِنَ الْمَعَانِي الْأُوَلِ، فَهيَ تَرْتَبِطُ بِالْمَعْنَى التَّدَاْوُلِيّ الَّذِي يُفْهَمُ مِنَ الْمَعَانِي الْوَضْعِيَّةِ، وَهيَ ذَات صِلَةٍ بِالمُخَاطَب.

وَبَعْدَ الاطّلَاعِ عَلَى مَا جَاءَ عِنْدَ الْمُحْدَثِيْنَ يُمْكِنُ أَنْ نَصْطَلِحَ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْفَائِدَةِ هُوَ حَاْصِلُ مَاْ يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُخَاْطَبُ مِنَ الْخِطَاْبِ الْمُوَجَّهِ إِلَيْهِ، يَقُوْلُ تَمَّاْم حَسَّاْن فِيْ مَعْنَى الْفَائِدَة: "هِيَ الْوُصُوْلُ إِلَى الْمَعْنَى التَّاْمِّ الَّذِي يَحْسُنُ السُّكُوْتُ عَلَيْه[3]"، وَهَذَا التَّعْرِيْفُ يَبْدُو أَنَّهُ لَا يَدلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَاْد وَيَكْتَفِي بِالدّلَالةِ الْأُوْلَى الْمُجتَنَاة مِنْ مَعْنَى الْجُمْلَةِ.

ويستخدمُ الدّكْتُوْرُ مَسْعُوْد صَحْرَاْوِيّ مُصْطَلَحَ الْإِفَاْدَةِ، وَيَرى أَنَّهُ "حُصُوْلُ الْفَائِدَةِ لَدَى الْمُخَاْطَبِ مِنَ الْخِطَاْبِ وَوُصُوْلُ الرِّسَاْلَةِ الْإِبْلَاْغِيَّةِ إِلَيْهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِيْ يغْلبُ عَلى الظَّنِّ أَنْ يَكُوْنَ هُوَ مُرَاْدَ الْمُتَكلِّمِ وَقَصْدَهُ وَهِيَ الثَّمرَةُ الَّتِي يَجْنِيْهَا الْمُخَاْطَبُ مِنَ الْخِطَاْبِ[4]".

---

([1]): الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت، ص694.

([2]): المصدر السابق، ص153.

([3]): حسان، تمام، *الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عندَ العرب*، عالم الكتب، مصر، 1420هـ–2004م، ص292.

([4]): صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ: دِرَاْسَةٌ تَدَاْوُلِيَّةٌ لِظَاْهِرَةِ الْأَفْعَاْلِ الْكَلَاْمِيَّةِ فِي التُّرَاْثِ اللِّسَاْنِيِّ الْعَرَبِيِّ*، ط1، دَاْرُ الطَّلِيْعَةِ، بَيْرُوْت، 2005م، ص186.

**مفهوم الإفهام والفرق بينه وبين الفائدة:**

**الإفهامُ لغةً:**

يَرْجعُ إِلَى الْفِعْل (أَفْهَمَ)، فَقَد جَاْءَ فِي لِسَاْنِ الْعَرَبِ: "أَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه[1]"، وَجَاْءَ فِي الْمعجم الوَسِيْط: "أفهمَه الأمرَ: أَحْسَنَ تَصْوِيْرَهُ لَهُ[2]".

**الإفهام اصطلاحاً:**

يَرَى الكَفَوي أَنَّ "الْخِطَاب إِمَّا الْكَلَام اللَّفْظِيّ أَو الْكَلَام النَّفْسِيّ المُوَجَّه نَحْو الْغَيْرِ لِلْإِفْهَاْمِ[3]"، وَهَذَا النَّصُّ يُبَيِّنُ أَنَّ الْإِفْهَامَ غَايَةٌ مِنْ غَايَاْتِ الْمُتَكَلِّمِ فِي أَثْنَاْءِ الْكَلَاْمِ، فَغَايَةُ الْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَتَوَاصَلَ مَعَ مُخاطَبِهِ بِكَلَاْمٍ مَفْهُوْمٍ بَعِيْدٍ عَنْ أَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَاْلِ الْغُمُوْضِ وَاللَّبْسِ، فَهو أَدَاْةٌ مِنْ أَدَوَاْتِ الْمُتَكَلِّمِ لِتَحْقِيْقِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِ بَيْنَه وَبَيْنَ مُخَاطَبِه.

وَمِنْ هُنَا يكْمنُ الفَرْقُ بَيْن الفَائِدةِ وَالإِفْهَاْمِ؛ فَالفَائِدَةُ تَتَّجِهُ إِلَى الْمُخَاْطَبِ، وَهيَ مَاْ يجْنِيه مِنَ الْخِطَاْبِ، وَالْإِفْهَامُ يَتّجِهُ إِلَى الْمُتَكَلِّم الَّذِي يُرْسِلُ كَلَاْمَهُ وَاْضِحَاً مَفْهُوْماً، وَيَبْدُو أَنَّ الْإِفْهَاْمَ شَرْطٌ لِتَحْقِيْقِ الْفَاْئِدَةِ عِنْدَ الْمُخَاْطَبِ.

---

([1]): ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ج12، مادة (فهم).

([2]): مصطفى، إبراهيم وغيره، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، ج1، دار الدعوة، د. ت، مادة (فهم).

([3]): الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص419.

- **الإطار النظري:**

**الفائدة عندَ التداوليِّين[1]:**

اِنْبَثَقَ مَفْهُوْمُ الْفَائِدَةِ عَنْ نَظَرِيَّةِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ[2] الَّتِي جَاْءَ بِهَا الْفَيْلَسُوْفُ أوسْتِيْن، وَطَوَّرَهَاْ تِلْمِيْذُهُ سيرل، وَالْبَحْثُ فِيْ هَذِهِ النَّظَرِيَّة هُوَ بَحْثٌ فِي مُضْغَةِ الاهْتِمَاْمِ الْأَوَّلِيِّ

([1]): التداولية نظرية حديثة تعني دراسة اللغة في مجال الاستعمال، وهذا يكون بين متكلم ومخاطب في سياق محدد، وتعتمدُ جملةً من المقولات منها:

1- الافتراض المسبق: وهو المعطيات والافتراضات المعترف بها بين المُتكلمين، لتحقيق النجاح في عملية التواصل، ففي الملفوظ الأول: أغلق النافذة وفي الملفوظ الثاني: لا تغلق النافذة، خلفيةُ افتراضٍ مسبقٍ مضمونها أنَّ النافذة مفتوحة.

2- الأقوال المضمرة: هو كتلة المعلومات التي يمكنُ للخطاب أنْ يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع رهنُ خصوصيات سياق الحديث، ومثال ذلك قول القائل: إنَّ السماء ممطرة فالسامع لهذا الملفوظ قد يعتقدُ أنَّ القائل أرادَ أنْ يدعوه إلى المكوث في البيت أو الإسراع إلى عمله قبل أنْ تمطر أو الانتظار والترقُّب.

3- الاستلزام الحواري: بعض الجمل تدل على معنى مُستنتج وهو غير معناها الحرفي، ويتَّضحُ ذلك من خلال الحوار الآتي: - هل عليٌّ في البيت؟ - شاهدْتُ سيارة عليّ تقف عند بائع الخضار في نهاية الشارع.

فالجملة الثانية تدل على معنيين اثنين، الأول حرفي والثاني مستلزم، فمعناها الحرفي أنَّ سيارة علي بعيدة عن البيت، ومعناها المستلزم أنَّ عليّاً ليس في المنزلِ. انظر: *صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص16- 30.

([2]): الفعل الكلامي فحواه أنّه كل ملفوظٍ ينهضُ على نظامٍ شكلي دلالي إنجازي تأثيريّ، وهو يُعدُّ نشاطاً ماديّاً نحوياً يتوسّلُ أفعالاً قوليّة لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...) وغايات تأثيرية تخصُّ ردودَ فعل المتلقي (كالرفضِ والقبول)، فهو فعلٌ يطمحُ إلى أنْ يكونَ ذا تأثيرٍ في المخاطبِ اجتماعيّاً أو مؤسّساتيّاً ومن ثمّ إنجاز شيءٍ ما، وقسَّمَ أوستين الفعل الكلامي إلى ثلاثةِ أفعال فرعية، هي:

أ- فعل القول (أو الفعل اللغوي): يشتمل على أفعال لغوية فرعيّة هي المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي.

ب- الفعل المتضمّن في القول: وهو القيام بفعل ضمن قول شيءٍ، ومن أمثلته: السؤال وإجابة السؤال وإصدار تأكيدٍ وتحذيرٍ، ووعد، وأمر، وشهادة في محكمة...

لِلتَّدَاْوُلِيَّةِ وَأَساْسٌ مِنْ أَكْبَرِ أُسُسِهَاْ... [1]، ذَلِكَ أَنَّ التَّدَاْوُلِيَّةَ تَهْتَمُّ بِدِرَاْسَةِ اللُّغَةِ بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ تَوَاْصُلٍ[2] بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ كَلَاْمٍ أَوْ قَوْلٍ أَنْ يُؤَدِّيَ غَرَضَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنِيَّاً بِالْمُخَاْطَبِ وَمدَى إِدْرَاْكِهِ لِلْمُعْطَيَاْتِ التَّوَاْصُلِيَّةِ، بِعَدِّ أَنَّ الْخِطَاْبَ كُلَّهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَدَى اسْتِفَاْدَةِ الْمُتَلَقِّي مِنْ كَلَاْمِ الْمُتَكَلِّمِ، مِمَّا يُثْرِي مَعْلُوْمَاْتِ الْمُتَلَقِّي وَمُدْرَكَاْتِهِ، وَيَجْعَلُهُ يُغَيِّرُ نَظْرَتَهُ تُجَاْهَ الْمَوْضُوْعِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُ، وَبِذَلِكَ تَكُوْنُ الْفَاْئِدَةُ "فِيْ عَلَاْقَةٍ مُبَاْشِرَةٍ بِالنَّتَاْئِجِ التَّدَاْوُلِيَّةِ الَّتِي تَفْرضُ عَلَى الْمُسْتَمِعِ وَفِيْ عَلَاْقَةٍ عَكْسِيَّةٍ بِالنَّزَاْءِ الْإِخْبَاْرِيِّ الَّذِيْ يَحْتَوِيْهَاْ[3]"، فَالْفَاْئِدَةُ أَلْصَقُ بِالْمُخَاْطَبِ وَمَاْ يُقَدِّمُهُ الْكَلَاْمُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْلُوْمَاْتٍ جَدِيْدَةٍ يَزْدَاْدُ بِهَاْ مَعْرِفَةً.

فالحكمُ على الكلامِ من خلالِ هذا المبدأِ يُعطينا حُكماً صائباً، وَلِهَذَاْ يَقُوْلُ دان سبربر (Dan Sperper) وديردر ولسن (Deirder Wilson): "إِنَّنَاْ نَعْتَرِفُ بِأَنَّ كُلَّ الْأَحْكَاْمِ تَنْضَوِي تَحْتَ مسلَّمَةِ الْإِفَاْدَةِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ دِقَّةً وَصحَّةً مِنَ الْأَحْكَاْمِ الْأُخْرَى[4]".

---

ج– الفعل الناتج عن القول: قد يكون المتكلّم قائماً بفعل ثالثٍ وهو مجموعة الآثار المترتبة عن الفعل السابق، ومن أمثلته: الإقناع والتضليل والإرشاد والتنبيط... انظر: صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص40–42.

([1]): انظر: صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص5.

([2]): نظرية التواصل تعني أنْ يوجِّهَ المُرسِلُ رسالةً ما إلى المُرسَل إليه من خلالِ أداة اتصالٍ مُعيّنة، مع التشديد على تمكين المرسَل إليه من فهم الرسالة وإدراكها. انظر: جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م، ص27.

([3]): فوراري، تسعديت، *المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008م، ص19.

([4]): بلخير، عمر، *تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التواصلية*، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م، ص103.

- **عرض البحث والمناقشة والتحليل:**

**الفائدة عندَ علماء العرب القدامى:**

قَامَ النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ أَسَاسَاتِ اللُّغَةِ التَّوَاصُلِيَّةِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَتْ غَايَتُهُ إِفَادَةَ الْمُخَاطَبِ غَرَضَ الْمُتَكَلِّم، وَقَدْ بَرَزَتْ هَذِهِ الْفَائِدَةُ فِيْ جَوَانِبَ عِدَّةً، سَأَقُوْمُ بِتَوضيحِ بعضِها فِيْمَا يَأْتِي:

**شروط فائدة الكلام عند النُّحَّاةِ القدامى:**

يُعَدُّ الْكَلامُ الْأَدَاةَ الْكُبْرَى الَّتِي يَمْلكُهَا الْمُتَكَلِّمُ لِلتّوَاصُلِ مَعَ مُخَاطَبِهِ، وَنَقْلِ غَرَضِهِ إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُخَاطَبِ الَّذِيْ يَسْعَى إِلَى الْحُصُوْلِ عَلَى الْفَائِدَةِ مِنْ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَمِنْ أَجْلِ الْحِفَاظِ عَلَى حُصُوْلِ الْفَائِدَةِ لِلْمُخَاطَبِ مِنَ الْكَلَامِ، وَلِإِتْمَامِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ، سَعَى النُّحاةُ الْعَرَبُ إِلَى ضَبْطِهِ وَوَضْعِ شُرُوْطٍ لَهُ تَجْعَلُهُ مُفِيْداً، وَتَكْمُنُ هَذِهِ الشُّرُوْطُ الَّتِي تُحَقِّقُ الْفَائِدَةَ فِي الْآتِي:

**أَوَّلاً: الإسنادُ:**

أَقَامَ النُّحاةُ لُغَتَهُم عَلَى الْإِسْنَادِ الَّذِي يَحْملُ فِيْ أطوائه الْفَائِدَةَ الَّتِي يَرُوْمُ الْمُتَكَلِّمُ وُصُوْلَهَا إِلَى الْمُخَاطَبِ، وَلِهَذَا اعْتَنَوا بِهِ اعْتِنَاءً كَبِيْراً، فَهُوَ عِنْدَهُم يَتَكَوَّنُ مِنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَأَلَّفَ الْجُمْلَةُ مِنْ غَيْرِهِمَا، فَهُمَا كَمَا يَقُوْلُ سِيْبَوَيْهِ "مَا لَا يَسْتَغْنِي وَاْحِدٌ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ وَلَا يَجِدُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْهُ بُدّاً فَمِنْ ذَلِكَ الاسْمُ الْمُبْتدأُ وَالْمَبْنِي

عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُكَ: عَبْدُ اللهِ أَخُوْكَ، وَهَذا أَخُوْكَ وَمِثْل ذَلِكَ: يَذْهَبُ عَبْدُ اللهِ فَلَاْ بُدَّ لِلْفِعْلِ مِنَ الاسْمِ كَمَاْ لَمْ يَكُنْ لِلاسْمِ الْأَوَّلِ بُدٌّ مِنَ الْآخِرِ فِي الابْتِدَاْءِ[1]".

وَعَلَى هَذَا نَعْلَمُ أَنَّ النُّحاةَ لَاْ يَعْتَدُّوْنَ بِالْكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ؛ لِأَنَّ الْفَائِدَةَ لَاْ تَتَحَقَّقُ بِهَاْ، وَإِنَّمَاْ تَتَحَقَّقُ بِالتَّرْكِيْبِ، وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ ابْنُ جِنِّي: "إِنَّ الْكَلَاْمَ إِنَّما وُضِعَ لِلْفَاْئدَةِ، وَالْفَاْئِدَةُ لَاْ تُجْنَى مِنَ الْكَلِمَةِ الْوَاْحِدَةِ، وَإِنَّمَاْ تُجْنَى مِن الْجُمَلِ وَمَدَاْرِجِ الْقَوْلِ[2]".

وَلَعَلَّ هَذَاْ مَاْ دَفَعَ الْجرْجَاْنِيّ إِلَى الْقَوْلِ: "فَالْأَلْفَاْظُ الْمُفْرَدَةُ الَّتِي هِيَ أَوْضَاْعُ اللُّغَةِ لَمْ تُؤْخَذْ لِتُعْرَفَ مَعَاْنِيْهَاْ فِيْ أَنْفُسِهَاْ وَلَكِنْ لِأَنْ يُضَمَّ بَعْضُهَاْ إِلَى بَعْضٍ فَيُعْرَفُ فِيْمَاْ بَيْنَهَاْ فَوَاْئِدُ[3]".

وَبِذَلِكَ يَكُوْنُ النُّحاْةُ أَوَّلَ مَنْ أَشَاْرَ إِلَى هَذِهِ الْفَاْئِدَةِ مِنْ خِلَاْلِ تَعْرِيْفِهِمْ لِلْكَلَاْمِ بِأَنَّهُ: "هُوَ الْقَوْلُ الْمُفِيْدُ بِالْقَصْدِ، وَالْمُرَاْدُ بِالْفَاْئِدَةِ مَاْ دَلَّ عَلَى مَعْنَىً يحْسنُ السُّكُوْتُ عَلَيْهِ[4]".

**ثانياً: الْمَعْنَى الدِّلَاْلِيّ:**

لَاْ بُدَّ لِلْجُمْلَةِ أَنْ تَحْملَ مَعْنىً دِلَاْلِيّاً مُعَيَّناً يُرَاْدُ إِيْصَاْلُه إِلَى الْمُخَاْطَبِ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَنْ يُوَاْفِقَ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ، فَلَاْ يُمْكِنُ مَثَلاً أَنْ يُقَاْلَ: أَتَيْتُكَ غَداً، أَو سَآتِيْكَ أَمْسِ، أَو اجْتَمَعَ جَمِيْعُ الْخَلْقِ فِيْ هَذَا الْمَكَاْنِ فَإِنَّ هَذَاْ مُحَاْلٌ إِنْ أُرِيْدَ بِهِ الْحَقِيْقَةُ.

---

([1]): سيبويه، *الكتاب*، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ–1988م، ص23.

([2]): ابنُ جِنِّيّ، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَاْن، *الخَصَاْئِص*، تح: محمد علي النجار، د. ط، عالم الكتب بيروت، د. ت، ج2، ص331.

([3]): الجُرْجَاْنِيّ، عَبْدُ القَاْهِر، *دَلَاْئِلُ الْإِعْجَاْزِ*، تح: د. محمد التنجيّ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م، ص391

([4]): الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ*، تَح: مَاْزِن الْمُبَاْرَك–مُحَمَّد عَلَيّ حَمد الله، مُرَاْجَعَة سَعِيْد الْأَفْغَاْنِيّ، د. ط، دَاْرُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت–لبْنَاْن، 1432هـ–2010م. ص357.

وَأُشِيْرُ هُنَاْ إِلَى أَنَّ كَثِيْراً مِنَ التَّرَاْكِيْبِ تَحْملُ فِي الظَّاْهِرِ مَعْنَى غير منطقي قَدْ يَصِحُّ بِالتَّأْوِيْلِ وَالتَّقْدِيْرِ وَالْحَمْلِ عَلَى الْمَجاْزِ وَالْمُبَاْلَغَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يصْرِفُ الْكَلَاْمَ عَنْ ظَاْهِرِهِ، وَذَلِكَ نَحْو: شَرِبَ الدَّاْرَ وَأَكَلَ الْمَاْءَ بِمَعْنَى بَاْعَ الدَّاْرَ وَشَرِبَ بِثَمَنِهَاْ، وَبَاْعَ الْمَاْءَ وَاشْتَرَى بِثَمَنِهِ مَاْ يَأْكُلُهُ، وَنَحْو: مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَكَ، وَعَانَقَهُ الْأَسَدُ مُتَهَلِّلاً عَلَى سَبِيْلِ الاسْتِعَاْرَةِ، وَنَحْو: أَنْتَ فَضْلٌ، وَمُحَمَّدٌ سَعْيٌ حَثِيْثٌ بِمَعْنَى الْمُبَاْلَغَةِ أَوْ عَلَىْ تَقْدِيْرِ أَنْتَ ذُوْ فَضْلٍ وَهُوَ ذُوْ سَعْيٍ[1].

وَهَكَذَا نَصِلُ إِلَى أَنَّ حُصُوْلَ الْفَاْئِدَةِ لَاْ بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ خِلَاْلِ جُمْلَةٍ مُسْتَقِيْمَةٍ نَحْوِيَّاً وَدِلَاْلِيَّاً سوَاْءٌ أَكَاْنَ هَذَا الْمَعْنَى الدِّلَاْلِيُّ حَقِيْقِيّاً أَمْ مَجَاْزِيّاً.

**مظاهر الفائدة عند علماءِ العربِ القدامى:**

كَاْنَ عُلَمَاْءُ الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى –وَهُمْ يُقَعِّدُوْنَ الْقَوَاْعِدَ وَيَقِفُوْنَ عِنْدَ تَحْلِيْلِ الْجُمَلِ– عَلَى وَعْيٍ تَاْمٍّ بِأَهَمِّيَّةِ حُصُوْلِ الْفَاْئِدَةِ لِلْمُخَاْطَبِ، وَلَكِنَّ إِشَاْرَاْتِهِمْ إِلَى هَذِهِ الظَّاْهِرَةِ كَاْنَتْ أَشْتَاْتاً مُتَفَرِّقَةً فِيْ بُطُوْنِ كُتُبِهِمْ، وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِيْ ذَلِكَ أَنَّ اهتِمَاْمَهُم كَاْنَ مُنْصَبّاً عَلَى تَقْعِيْدِ الْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ لَاْ عَلَى تَصْنِيْفِ الْكَلَاْمِ وفقاً لهَذِهِ الظَّاْهِرَةِ أَوْ أَمْثَاْلِهَاْ، وَهُنَاْ يَبْرزُ عَمَلُنا فِيْ تَقَصِّي مِثْلِ هَذِهِ الظَّوَاْهِرِ فِيْ كُتُبِهِمْ وَإِعَاْدَةِ تَرْتِيْبِهَاْ تَرْتِيْباً مُنَظَّماً يُبْرِزُ الْمَنْهَجَ الَّذِي اتَّبَعُوْهُ فِيْ تَحْلِيْلِ الْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ وَتَقْعِيْدِهِ.

وَإِذَاْ نَظَرْنَاْ إِلَى أَوَّلِ كِتَاْبٍ وَصَلَ إِلَيْنَاْ نَجِدُ أَنَّ سِيْبَوَيْهِ قَدْ أَشَاْرَ إِلَى أَنَّ التَّعْبِيْرَ يَجِبُ أَنْ يَحْملَ فَاْئِدَةً جَدِيْدَةً لِلمُخَاْطَبِ، وَعَلَيْهِ يُدْخِلُ التَّعْبِيْرَ الَّذِيْ لَاْ فَاْئِدَةَ فِيْهِ لِكَوْنِهِ مُبْتَذَلاً مَعْلُوْماً لِكُلِّ أَحَدٍ، فِيْ بَاْبِ اللَّغْوِ وَاللَّحْنِ، يَقُوْلُ فِيْ بَاْبِ الْإِخْبَاْرِ عَنِ النَّكِرَةِ بِالنَّكِرَةِ: "وَذَلِكَ قَوْلكَ: مَاْ كَاْنَ أَحَدٌ مِثْلَكَ وَمَاْ كَاْنَ أَحَدٌ خَيْراً مِنْكَ وَمَاْ كَاْنَ أَحَدٌ مُجْتَرِئاً عَلَيْكَ، وَإِنَّمَاْ حَسُنَ

---

([1]): انظر: السامرائي، د. فاضل صالح، *الجملة العربية والمعنى*، ط1، دار حزم، بيروت، 1421هـ–2000م، ص11.

الْإِخْبَارُ هَهُنَاْ عَنِ النَّكِرَةِ حَيْثُ أَرَدْتَ أَنْ تَنْفِيَ أَنْ يَكُوْنَ فِيْ مِثْلِ حَالِهِ شَيْءٌ أَوْ فَوْقَهُ؛ لِأَنَّ الْمُخَاْطَبَ قَدْ يَحْتَاْجُ إِلَى أَنْ تُعْلِمَهُ مِثْلَ هَذَا، وَإِذَاْ قُلْتَ: كَاْنَ رَجُلٌ ذَاْهِباً، فَلَيْسَ فِيْ هَذَاْ شَيْءٌ تُعِلمُهُ كَاْنَ جَهِلَه، وَلَو قُلْتَ كَاْنَ رَجُلٌ مِنْ آلِ فُلَاْنٍ فَاْرِساً حَسُنَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَحْتَاْجُ إِلَى أَنْ تُعْلِمَه أَنّ ذَلِكَ فِيْ آلِ فُلَاْنٍ وَقَدْ يَجْهلُه وَلَوْ قُلْتَ كَاْنَ رَجُلٌ فِيْ قَوْمٍ عَاْقِلاً لَمْ يَحْسُنْ؛ لِأَنَّهُ لَاْ يُسْتَنْكَرُ أَنْ يَكُوْنَ فِي الدُّنْيَاْ عَاْقِلٌ وَأَنْ يَكُوْنَ مِنْ قَوْمٍ، فَعَلَى هَذَا النَّحْوِ يَحْسُنُ ويَقْبُحُ[1]".

فَالْحُسْنُ وَالْقُبْحُ فِي الْكَلَاْمِ مُرْتَبطان بِحُصُوْلِ الْفَاْئِدَةِ لِلمُخَاْطَبِ، وَهَذَا يُبْرِزُ ظَاْهِرةً تَوَاْصُلِيَّةً قَاْمَ عَلَيْهَا النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ، وَهِيَ أَنَّ الْهَدَفَ الرَّئِيْسَ مِنَ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِيَّةِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ هُوَ إِفَاْدَةُ الْمُخَاْطَبِ مَاْ لَيْسَ عِنْدَهُ أَوْ إِعْطَاْؤُه مَعْلُوْمَاْتٍ لَمْ يسبقْ لَهُ مَعْرِفَتَهَاْ.

وَقَدْ أَشَاْرَ ابْنُ جِنِّي إِلَى عَلَاْقةِ الصّحَّةِ الْقَوَاْعِدِيَّةِ بِإِفَاْدَةِ الْمُخَاْطَبِ عِنْدَمَاْ قَاْلَ: "أَلَا تَرَاْكَ لَوْ قُلْتَ: وَرَدْنَا الْبصْرَةَ فَاْجْتَزْنَا بِالأُبُلّةِ عَلَى رَجُلٍ أَوْ رَأَيْنَاْ بسْتَاْناً وَسَكَتَ لَمْ تُفِدْ بِذَلِكَ شَيْئاً؛ لِأَنَّ هَذَاْ وَنَحْوه مِمَّاْ لَاْ يَعْرَى مِنْهُ ذَلِكَ الْمَكَاْنُ، وَإِنَّمَا الْمُتَوَقَّعُ أَنْ تَصفَ مَنْ ذَكَرْتَ أَوْ مَاْ ذَكَرْتَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَلفْتَ عِلْمَ مَاْ لَمْ تدللْ عَلَيْهِ، وَهَذَاْ لَغْوٌ مِنَ الْحَدِيْثِ وَجَوْرٌ فِي التَّكْلِيْفِ[2]"

فَالْجُمَلُ الَّتِي ذَكَرَهَاْ ابْنُ جِنِّي "صَحِيْحَةٌ مِنْ حَيْثُ التَّرَاْكِيْبِ إِلَّا أَنَّ الاسْمَ الَّذِيْ فِيْ آخِرِهَاْ (رجل–بستاناً) كَاْنَ نَكِرَةً وَبِخُلُوِّهِ مِنَ الْوَصْفِ لَاْ تَكُوْنُ قَدْ أَفَدْتَ السَّاْمِعَ شَيْئاً كَاْنَ يَجْهلُهُ إِذْ لَاْ يُسْتَنْكَرُ أَنْ يَكُوْنَ بالأُبُلّةِ رَجُلٌ أَوْ بسْتَاْنٌ وَلَوْ جِئْتَ بِالصّفَةِ لَكَاْنَ قَوْلكَ مُفِيْداً

---

([1]): سيبويه، *الكتاب*، ج1، ص54.

([2]): ابن جني، عثمان، *الخصائص*، ج2، ص 371.

كَأَنْ تَقُوْل: عَلَى رَجُلٍ كَرِيْمٍ أَوْ بَخِيْلٍ، وَرَأَيْنَا بسْتَاْناً صَغِيْراً أَوْ كَبِيْراً أَوْ قَلِيْلَ التَّمْرِ أَوْ كَثِيْرَ التَّمْرِ، وَعِنْدَئِذٍ يَكُوْنُ التَّرْكِيْبُ صَحِيْحاً وَالْمَعْنَى صَحِيْحاً مُفِيْداً[1]".

وَقَدْ كَاْنَ عَبْدُ الْقَاْهِرِ الْجرْجَاْنِيّ يَتَوَخَّى الْفَاْئِدَةَ الَّتِيْ تَتَرَتَّبُ عَلَى الاسْتِعْمَاْلِ الصَّحِيْحِ لِوُجُوْهِ كُلِّ بَاْبٍ نَحْوِيٍّ وَفُرُوْقِهِ[2]، فَأَيُّ وَجْهٍ يُقدِّمُ الْفَاْئِدَةَ أَكْثَرَ هُوَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْبَلَاْغَةِ، وَيَقْتَرِبُ مِنَ الْإِعْجَاْزِ، وَذَلِكَ نَحْو قَوْلِهِ تَعَاْلَى: **{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}**[3] وَلَوْ قُلْتَ "وَجَعَلُوا الْجنّ شُرَكَاْءَ لله" لَفَسُدَ الْمَعْنَى عَمَّا فِي الْآيَةِ، ذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ أَفَاْدَتْ إِنْكَاْرَ أَنْ يَكُوْنَ للهِ شُرَكَاْءَ مِنَ الْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ فَقَاْلَ وَجَعَلُوا لله شُرَكَاْءَ ثمَّ بَيَّن الشّرَكَاْءَ فَقَاْلَ الْجِنّ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ وَلَوْ قَاْلَ وَجَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاْءَ للهِ لَمَاْ أَفَاْدَ إِنْكَاْرَ أَنْ يَكُوْنَ للهِ شُرَكَاْءَ وَإِنَّمَاْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُوْنَ الْجِنُّ شُرَكَاْءَ للهِ فَلَو كَاْنَ غَيْرُهُم شَرِيْكاً لَهُ لَمْ يسْتَنْكرْ ذَلِكَ[4].

أمَّا السَّكّاكي وَهُوَ وَاْحِدٌ مِنْ أَظْهَرِ الْبَلَاْغِيِّيْنَ الْعَرَبِ الَّذِيْنَ تَجَلَّتْ فِيْ كِتَاْبَاْتِهِم مَلَاْمِحُ الدَّرْسِ التَّدَاْوُلِيِّ الْحَدِيْثِ، فَقَد اهْتَمَّ بِالْمُخَاْطَبِ وَمَدَى تَقْدِيْمِ الْخِطَاْبِ الْفَاْئِدَةَ لَهُ، وَبِالْمَقَاْمَاْتِ الَّتِي يتمُّ عَبْرَهَا الْوُصُوْلُ إِلَى الْفَاْئِدَةِ، وَيَبْدُو ذَلِكَ جَلِيّاً مِنْ خِلَاْلِ اهْتِمَاْمِهِ بِفِكْرَةِ الْمَقَاْمِ، فَهُوَ "الَّذِيْ يَضْمنُ سَلَاْمَةَ الْمَعْنَى وَتَحْقِيْقَ الْفَاْئِدَةِ لَدَى السَّاْمِعِ[5]".

فَالْإِفَاْدَةُ عِنْدَ السَّكَّاكي هِيَ الَّتِي تَمْنحُ الْعَمَلَ الْأَدَبِيَّ قِيْمَةً، وَأَيُّ كَلَاْمٍ لَاْ يُقَدِّمُ فَاْئِدَةً دِلَاْلِيَّةً لِلسَّاْمِعِ فَهُوَ كَلَاْمٌ يَدخُلُ ضمْنَ قَاْئِمَةِ اللَّغْوِ وَالْعَبَثِ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "مِنَ الْمَعْلُوْمِ

---

([1]): النعيمي، د. حسان سعيد، *ابن جني عالم العربية*، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م، ص176.

([2]): انظر: عبد اللطيف، د. محمد حماسة، *العلامة الإعرابية في الجملة العربية بين القديم والحديث*، الكويت، 1983م، ص113

([3]): الأنعام: 100/6 .

([4]): الجُرْجَاْنِيّ، عَبْدُ القَاْهِر، *دَلَاْئِلُ الْإِعْجَاْزِ*، ص221

([5]): لهويمل، باديس، *السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية*، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، 2013م، ص167.

أَنَّ حكْمَ الْعَقْلِ حَالَ إِطْلَاقِ اللِّسَانِ، هُوَ أَنْ يُفْرِغَ الْمُتَكَلِّمُ فِيْ قَالَبِ الْفَائِدَةِ مَا يَنْطِقُ بِهِ تَحَاشِياً عَنْ وَصْمَتِهِ اللَّاغِيَةِ[1]".

وَقَد أَوْجَبَ السَّكَّاكيُّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ أَنْ يُرَاْعِيَ حَالَ مُخَاْطَبِهِ بِمَاْ يشْملُهُ مِنْ مسْتَوَىً عَقْلِيٍّ وَاجْتِمَاْعِيٍّ وَثَقَاْفِيٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ كَيْ يَضمَنَ حُصُوْلَ الْمُخَاْطَبِ عَلَى الْفَاْئِدَةِ مِنَ الْكَلَاْمِ وَيَضمَنَ وُصُوْلَ قَصْدِه لَهُ، يَقُوْلُ: "فَإِذَا انْدَفَعَ فِيْ كَلَاْمِهِ مُخْبِراً لَزِمَ أَنْ يَكُوْنَ قَصْدُهُ فِيْ حُكْمِهِ بِالْمُسْنَدِ لِلمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِيْ خَبَرِهِ ذَاْكَ، إِفَاْدَتَه لِلْمُخَاْطَبِ، مُتَعَاْطِياً مَنَاْطَهَاْ بِقَدرِ الاقْتِقَاْرِ[2]".

لَقَدْ وَضعَ السَّكَّاكي فِيْ قَوْلِهِ "مُتَعَاْطِياً مَنَاْطَهَاْ بِقَدرِ الاقْتِقَاْرِ" قَاْنُوْناً يُضَاْهِي بِهِ مَاْ وَصلَتْ إِلَيْهِ النَّظَرِيَّاتُ الْحَدِيْثَةُ إِذْ إِنَّ إِفَاْدَةَ الْمُخَاْطَبِ تَكُوْنُ بِمِقْدَاْرِ حَاْجَتِهِ وَحَاْلِهِ، وَهَذَا مَاْ يُقَاْرِبُ مَاْ سَمَّاْهُ غَرَاْيس مَبْدَأَ الْكَمِّ، وَذَلِكَ ضمْن مَبْدَئِهِ التَّدَاْوُلِيِّ مَبْدَأَ التَّعَاْوُنِ الَّذِيْ فَحْوَاْهُ: * لِتَكُنْ إِفَاْدَتَكَ عَلَى قَدْرِ حَاْجَتِهِ. * لَاْ تَجْعَل إِفَاْدَتَكَ تَتَعَدَّى الْقَدرَ الْمَطْلُوْبَ[3].

وَقَد وَعَى ابنُ يَعِيْشَ هَذَا الْمَبْدَأَ وَعْياً جَعَلَهُ يَربطُ بِنَاْءَ الْقَاْعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ بِهِ رَبْطاً وَثِيْقاً يَعْكسُ مَدَى وَعْيِ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى تَوَاْصُلِيَّةَ اللُّغَةِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنِ الْفَاْئِدَةِ الْحَاْصِلَةِ لِلمُخَاْطَبِ مِنْ مَجِيْءِ الْمُبْتَدَاْ وَالْخَبَرِ مَعْرِفَتَيْنِ، يَقُوْلُ: "فَتَقُوْلُ: زَيْدٌ أَخُوْكَ أَيْ: هَذَا الَّذِي عَرَفْتَهُ هُوَ أَخُوْكَ الَّذِيْ كُنْتَ عَلِمْتَهُ فَتَكُوْنُ الْفَاْئِدَةُ فِي اجْتِمَاْعِهِمَاْ، وَذَلِكَ الَّذِي اسْتَفَاْدَهُ الْمُخَاْطَبُ فَمَتَى كَاْنَ الْخَبَرُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ مَعْرِفَةً كَاْنَتِ الْفَاْئِدَةُ فِيْ مَجْمُوْعِهِمَاْ، فَإِنْ كَاْنَ

---

([1]): السكاكي، *مفتاح العلوم*، ضبطه وعلَّقَ عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ–1987م، ص170.

([2]): *المصدر السابق*، ص170.

([3]): صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص33–34.

يَعْرِفُهُمَاْ مُجْتَمِعَيْنِ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِخْبَاْرِ فَاْئِدَةٌ، وَكَذَلِكَ إِذَاْ قُلْتَ: زَيْدٌ الْمُنْطَلِقُ، فَالْمُخَاْطَبُ يَعْرِفُ زَيْداً وَيَعْرِفُ أَنَّ شَخْصاً انْطَلَقَ وَلَاْ يَعْلَمُ أَنَّهُ زَيْدٌ[1]".

وَبِذَلِكَ نَصِلُ إِلَى أَنَّ عُلَمَاْءَنَاْ نَظَرُوْا إِلَى اللُّغَةِ بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ تَوْصِيْلِ مَقَاْصِدِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ فِيْ مَوْقِفٍ مَقَاْمِيٍّ مُحَدِّدٍ؛ الْأَمْرُ الَّذِيْ جَعَلَهُمْ يَهْتَمُّوْنَ بِالْمُخَاْطَبِ وَمَدَى تَقْدِيْمِ الْفَاْئِدَةِ لَهُ لِكَيْلَا يَدْخلَ الْكَلَاْمُ فِيْ دَاْئِرَةِ الْعَبَثِ وَاللَّغْوِ، فَرَأَوْا أَنَّ "أَصْلَ الْكَلَاْمِ موضوعٌ لِلْفَاْئِدَةِ[2]"، وَأَكَّدُوا أَنَّ "الْكَلَاْمَ إِنَّمَاْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَاْئِدَةِ فِيْ حَقِيْقَتِهِ وَمَجَاْزِهِ[3]"، وَأَنَّهُ "إِذَاْ لَمْ تَتَعَلَّق اللَّفْظَةُ الْمُسْتَعَاْرَةُ بِفَاْئِدَةٍ فِي النّطْقِ فَلَاْ وَجْهَ لِاسْتِعَاْرَتِهَا[4]".

**القواعد المنبثقة من مبدأ الفائدة:**

حَاْوَلَ الْعُلَمَاْءُ الْعَربُ أَنْ يَضعُوا لِلْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ قَوَاْعِدَ مُحَدَّدَةً بُغْيَةَ تَعْلِيْمِ اللُّغَةِ لِلْأَعَاْجِمِ، وَخَوْفاً عَلَى الْقُرْآنِ مِنَ اللَّحْنِ، وَقَدْ آمَنُوْا –وَهُمْ يُقَعِّدُوْنَ الْكَلَاْمَ الْعَرَبِيِّ– إِيْمَاْناً صَاْدِقاً أَنَّ هَذِهِ الْقَوَاْعِدَ لَاْ بُدَّ أَنْ تَنْطَلِقَ مِنَ الْمَوَاْقِفِ الاسْتِعْمَاْلِيَّةِ لِلُّغَةِ بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ تَوَاْصُلٍ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، وَأَوَّلُ مَاْ رَسخَ فِي أَذْهَاْنِهِم أَنَّ النَّحْوَ أَدَاْةُ تَوْصِيْلِ أَغْرَاْضِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى السَّاْمِعِ، وَعَلَى هَذَا اشْتَرَطُوْا الْفَاْئِدَةَ صَرَاْحةً فِيْ بَعْضِ الْقَوَاْعِدِ الَّتِيْ وَضَعُوْهَاْ لِضَبْطِ الْكَلَاْمِ.

---

([1]): ابن يعيش، *شرح المفصل*، تح: إميل يعقوب، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ–2001م، ص247.

([2]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، تح: عبد الحسين الفتلي، ج1، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ص66.

([3]): الآمدي، *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*، تح: أحمد صقر، ج1، ط4، دار المعارف، ص201.

([4]): *المصدر السابق*، ج1، ص201.

وَلَا أَدَّعِي هُنَا أَنَّني سَأَقُوْمُ بِعَمَلِيَّةِ إِحْصَاْءٍ كُلِيٍّ لِلْقَوَاْعِدِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ، بَلْ سَأَكْتَفِي بِذِكْرِ بَعْضِ الْقَوَاْعِدِ الَّتِي تُؤَكِّدُ أَنَّ الْعُلَمَاْءَ الْعَربَ قَدْ أَخْرَجُوْا قَوَاْعِدَهُم عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ التَّوَاْصُلِيِّ، وَإِلَيْكَ بَعْضَهَاْ:

1_ اشْتَرَطَ النُّحـاْةُ مُتَقَدِّمُوْهُم وَمُتَأَخِّرُوْهُم فِـي الْمُبْتَدَأِ أَنْ يَكُوْنَ مَعْرِفَـةً، وَذَلِكَ "لِأَنَّـهُ مَحْكُوْمٌ عَلَيْهِ، وَالْحكْمُ عَلَى الشَّـيْءِ لَاْ يَكُوْنُ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ[1]"، وَلَاْ يَكُوْنُ الْمُبْتَدَأُ نَكِرَةً إِلَّا إِذَاْ حَصلَتِ الْفَاْئِدَةُ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ ابنُ السَّرَّاْجِ، فَقَاْلَ:" وَجُمْلَـةُ هَذَا أَنَّـهُ إِنَّمَاْ يُنْظَرُ إِلَى مَاْ فِيْـهِ فَاْئِدَةٌ، فَمَتَى كَاْنَتْ فَاْئِدَةً بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوْهِ فَهُوَ جَاْئِزٌ وَإِلَّا فَلَا[2]".

وَهَكَذَا لَمْ يُعَوِّل الْمُتَقَدِّمُوْنَ فِيْ ضَاْبِطِ الابْتِدَاْءِ بِالنَّكِرةِ إِلَّا عَلَى حُصُوْلِ الْفَاْئِدَةِ، وَرَأَى الْمُتَأَخِّرُوْنَ أَنَّ الْوُصُوْلَ إِلَى مَوْطِنِ الْفَاْئِدَةِ لَيْسَ بِالسَّـهْلِ؛ وَلِذَلِكَ حَاْوَلُوْا تَتَبُّعَهَاْ، والإحاطـة بالمواطن التي يجوزُ فيها الابْتِدَاْءُ بِالنَّكِرَةِ[3].

2_ لَاْ يَجُوزُ تَوْكِيْدُ النَّكِرةِ إِلَّا إِذَاْ كَاْنَ تَوْكِيْدُهَاْ مُفِيْداً، وَتَتَحَقَّقُ اسْتِفَاْدَتُهَاْ مِنَ التَّوْكِيْدِ بِشَرْطَيْنِ[4]:

أَوّلهُمَاْ: دِلَاْلَتهَاْ عَلَى زَمَنٍ مَحْدُوْدٍ بِابْتِدَاْءٍ وَانْتِهَاْءٍ مُعَيَّنَيْنِ مَعْرُوْفَيْن، كَيَـوْمٍ وَأُسْبُوْعٍ، وَشَـهْرٍ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ مَعْلُوْمِ الْمِقْدَاْرِ؛ كَدرْهمٍ، وَدِيْنَاْرٍ.

---

([1]): ابن الحاجب، *الإيضاح في شرح المفصل*، تح: إبراهيم محمد عبد الله، ج1، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1425هـ–2005م، ص149.

([2]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، ج1، ص59.

([3]): انظر: الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ*، ص439. وانظر: الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، بعناية: د. كوكب ديب دياب، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس–لبنان، 2004م، ص352.

([4]): انظر: حسن، عباس، *النحو الوافي*، ج3، ط1، آوند دانش، مصر، 1425هـ–2004م، ص 522.

وَثَانِيْهِمَاْ: أَنْ يَكُوْنَ لَفْظُ التَّوْكِيْدِ مِنْ أَلْفَاْظِ الْإِحَاْطَةِ وَالشُّمُوْلِ؛ تَقُوْلُ: عَملْتُ يَوْماً كُلَّه، وَسَاْفَرْتُ أُسْبُوْعاً جَمِيْعَهُ، وَتَنَقَّلْتُ شَهْراً عَاْمَّتَهُ... وَتَبَرَّعْتُ بِدِيْنَاْرٍ كُلِّه... وَكَقَوْلِ الشَّاْعِرِ[1]:

لكنَّهُ شاقهُ أنْ قيل ذا رجَبُ  يا ليت عِدَّةَ حَوْل كُلِّهِ رجَبُ

وَعَلَى أَسَاْسِ مَاْ تَقَدَّمَ لَاْ يُقَاْلُ: "صمْتُ دَهْراً كُلَّه"؛ لِأَنَّه مُبْهَمٌ غَيْرُ مُحَدَّدِ الْوَقْتِ، وَلَاْ "سرْتُ شَهْراً نَفْسَه"؛ لِأَنَّه مُؤَكَّدٌ بِمَاْ لَاْ يُفِيْدُ الشُّمُوْلَ.

3_ وَمِنْ أَحَدِ شُرُوْطِ إِنَاْبَـة الظَّرْفِ وَالْجَـاْرِ وَالْمَجْرُوْرِ وَالْمَصْدَرِ عَنِ الْفَاْعِلِ عِنْدَ النُّحَاْةِ؛ الْإِفَاْدَةُ[2].

وَتَحصلُ إِفَاْدَةُ الظَّرْفِ بِاخْتِصَاْصِهِ وَاخْتِصَاْصُهُ يَكُوْنُ بِوَصْفٍ، نَحْو: جُلِسَ مجْلسٌ مُفِيْدٌ، أَو إِضَاْفَةٍ، نَحْو: سُهِرَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَوْ بِالْعَلَمِيَّةِ، نَحْو: صِيمَ رَمضَاْنُ.

وَإِفَاْدَةُ الْمَصْدَرِ تَحصلُ بِاخْتِصَاْصِهِ بِوَصْفٍ نَحْو: وُقِفَ وُقُوْفٌ طَوِيْلٌ، أَوْ بِإِضَاْفَةٍ نَحْو: سِيْر سَيْرُ الصَّاْلِحِيْن، أَوْ بِبَيَاْنِ الْعَدَدِ نَحْوَ: نُظِرَ فِي الْأَمْرِ نَظْرَتَاْنِ.

أَمَّا الْجَـاْرُ وَالْمَجْرُوْرُ فَإِفَاْدَتُـهُ تَكُوْنُ أَيْضـاً بِاخْتِصَاْصِـهِ، وَذَلِكَ بِـأَنْ يَكُـوْنَ مَوْصُـوْفاً نَحْو: جِيْءَ بِرَجُلٍ كَرِيْمٍ، أَوْ مُضَاْفاً نحو: جُلِسَ فِيْ دَاْرِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُعَرَّفاً نَحْو: مُرَّ بزيدٍ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الظَّرْفُ أَو الْجَاْرُ وَالْمَجْرُوْرُ أَوِ الْمَصْدَرُ مُفِيْداً فَلَاْ يَنُـوْبُ عَنِ الْفَاْعِلِ نَحْوَ: وُقِفَ زَمَاْنٌ، وَضُرِبَ ضَرْبٌ وَ جُلِسَ فِي دَاْرٍ.

---

([1]): قائله: عبد الله بن مسلم الهذلي. انظر: الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، دار الطلائع، مصر، د. ت، ص292.

([2]): انظر: ابن عقيل، بهاء الدين، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2، د. ط، دار الطلائع، مصر، د. ت، ص99–100. الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، ص348–349.

4_ "لَاْ يَسْتَثْنَى إِلَّا مِنْ مَعْرِفَةٍ أَوْ نَكِرَةٍ مُفِيْدَةٍ، فَلَاْ يُقَاْلُ "جَاْءَ قَوْمٌ إِلَّاْ رَجُلاً مِنْهُم"، وَلَاْ "جَاْءَ رِجَاْلٌ إِلَّاْ خَاْلِداً"، فَإِنْ أَفَاْدَتِ النَّكِرَةُ جَاْزَ الاسْتِثْنَاْءُ مِنْهَاْ، نَحْو: "جَاْءَنِي رِجَاْلٌ كَاْنُوا عِنْدَكَ إِلَّا رَجُلاً مِنْهُم"، وَنَحْو "مَاْ جَاْءَ أَحَدٌ إِلَّا سَعِيْداً"، قَاْلَ تَعَاْلَى **{فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}**[1].

وَتَكُوْنُ النَّكِرَةُ مُفِيْدَةً إِذَاْ أُضِيْفَتْ، أَو وُصِفَتْ، أَوْ وَقَعَتْ فِيْ سِيَاْقِ النَّفْيِ أَوِ النَّهْيِ أَوِ الاسْتِفْهَاْمِ.

وَكَذَاْ لَاْ يُسْتَثْنَى مِنَ الْمَعْرِفَةِ نَكِرَةٌ لَمْ تُخَصَّصْ، فَلَاْ يُقَاْلُ "جَاْءَ الْقَوْمُ إِلَّا رَجُلاً". فَإِنْ تُخصِّصَتْ جَاْزَ، نَحْوَ: "جَاْءَ الْقَوْمُ إِلَّا رَجُلاً مِنْهُمْ، أَوْ إِلَّا رَجُلاً مَرِيْضاً، أَوْ إِلَّا رَجُلَ سُوْءٍ[2]".

وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ ابْنُ السَّرَّاْجِ: "وَلَاْ يَجُوْزُ أَنْ تَسْتَثْنِي النَّكِرَةَ مِنَ النَّكِرَاْتِ فِي الْمُوْجِبِ لَاْ تَقُوْلُ: جَاْءَنِي قَوْمٌ إِلَّاْ رَجُلاً؛ لِأَنَّ هَذَاْ لَاْ فَاْئِدَةَ مِن اسْتِثْنَاْئِهِ فَإِنْ نَعَتَّهُ أَو خَصَصْتَهُ جَاْزَ وَهَذَا امْتِنَاْعُهُ مِنْ جِهَةِ الْفَاْئِدَةِ فَمَتَى وَقَعَتِ الْفَاْئِدَةُ جَاْزَ[3]".

وَهُنَاْ تكمنُ ضرورةُ ارْتِبَاْطِ الْقَوَاْعِدِ النَّحْوِيَّةِ بِالْمَوَاْقِفِ الاسْتِعْمَاْلِيَّةِ الَّتِي تَجْرِيْ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ فطْنَةَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى فِيْ إِرْسَاْءِ قَوَاْعِدِهِمْ عَلَى أَسَاْسِ تَوَاْصُلِيَّةِ اللُّغَةِ؛ الْأَمْرُ الَّذِيْ يَضْمنُ لِقَوَاْعِدِهِم التَّطَوُّرَ وَالْحَيَوِيَّةَ تَبَعاً لِمَا يَسْتَجِدُّ مِنْ أُمُوْرٍ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

---

([1]): العنكبوت: 14/29.

([2]): الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، ص499.

([3]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، ج1، ص 284.

**خروج الكلامِ عن الفائدةِ في الظاهر:**

مَـعَ تَأْكِيْدِ الْعُلَمَـاْءِ الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى أَهَمِّيَّـةَ إِفَـاْدَةِ الْمُخَاْطَـبِ، تَنَبَّهُوا إِلَـى أَنَّ الْكَـلَاْمَ قَدْ يَخْرُجُ فِي دِلَاْلَاْتِهِ عَلَى إِفَاْدَةِ الْمُخَاْطَبِ، وتكون الفائدةُ عائدةً إلى المُتكلّم، وَذَلِكَ حِيْن يُعَبِّرُ الْمُتَكَلِّمُ فِيْ كَلَاْمِهِ عَنْ هَمسَاْتِ نَفْسِهِ وَخَلجَاْتِ وجْدَاْنِهِ، وَيفْصحُ عَمَّا فِيْ دَاْخِلِهِ مِنْ شُعُوْرٍ وَمَعَاْنٍ كَالتَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيْمِ وَالسّرُوْرِ وَالْحزْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ تَقُوْلَ لِشَخْصٍ: الدُّنْيَاْ حَاْرَّةٌ أَوِ النَّهَاْرُ طَوِيْلٌ أَوِ السَّمَاْءُ صَاْفِيَةٌ، وَهُوَ يَعْلَمُ ذَاْكَ وَيَرَاْهُ وَيَشْعُرُ بِهِ فَيَقُوْلُ لَكَ: نَعَم[1].

وَنَحْو ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَاْلَى عَلَى لِسَاْنِ امْرَأَةِ عمْرَاْن: {**رَبِّ إِنِّـي وَضَعْتُهَا أُنْثَـى**}[2]، فَلَيْسَ الْغَرَضُ تَقْدِيْمَ الْفَاْئِدَةِ؛ لِأَنَّ الْمُخَاْطَبَ هُوَ اللهُ سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَى الَّذِيْ يَعْلَمُ كُلَّ شَـيْءٍ، وَلَكِنَّ الْخَبَرَ فِي الْآيَةِ يُشْعِرُنَاْ بِانفِعَاْلَاْتِ الْأَسَى وَالْحَسْرَةِ الَّتِي سَيْطَرَتْ عَلَى قَلْبِ امْرَأَةِ عِمْرَاْن فَقَدْ كَاْنَتْ تَأْمَلُ فِيْ وَلَدٍ تَهِبُهُ اللهَ، فَلَمَّا وَضَـعَتْ أُنْثَى ذَاْبَتْ نَفْسُهَاْ حَسرَاْتٍ؛ لِأَنَّها خَشِيَتْ أَلَّا يَتَقَبَّلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[3].

وَقَدْ يَكُوْنُ غَرَضُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَاْمِـه أَنْ يَتَبَرَّكَ بِذِكْرٍ أَوْ تَسْبِيْحٍ طَلَباً لِثَوَاْبٍ وَنَحْوه، وَذَلِكَ مثل قَوْلِكَ: لَاْ إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَسُبْحَاْنَ الْحَـيِّ الَّذِيْ لَاْ يَمُوْتُ، أَوْ أَيُّهَا الْقَمَرُ رَبِّـي وَرَبُّكَ اللهُ، أَوْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيْرٍ، يَقُوْلُ ابْنُ السّرَّاْجِ فِي الْأُصُوْلِ: "فَإِنْ قَاْلَ قَاْئِلٌ: فَأَنْتَ تَقُوْلُ: اللهُ رَبُّنَاْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّنَاْ، وَهَذَاْ مَعْلُوْمٌ مَعْرُوْفٌ قِيْلَ لَهُ: هَذَاْ إِنَّمَاْ هُوَ مَعْرُوْفٌ عِنْدَنَاْ وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِنَّمَاْ نَقُوْلُهُ رَدّاً عَلَـى الْكُفَّاْرِ وَعَلَـى مَنْ لَاْ يَقُوْلُ بِـهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَاْ مُخَاْلِفٌ عَلَـى هَذَا الْقَوْلِ لَمَاْ قِيْلَ إِلَّا فِي التَّعْظِيْمِ وَالتَّحْمِيْدِ لِطَلَبِ الثَّوَاْبِ بِـهِ فَإِنَّ الْمُسَبِّحَ يُسَبِّحُ وَلَيْسَ يُرِيْدُ أَنْ يُفِيْدَ أَحَداً شَيْئاً وَإِنَّمَاْ يُرِيْدُ أَنْ يَتَبَرَّرَ وَيَتَقَرَّبَ إِلَـى اللهِ بِقَوْلِ الْحَقِّ وَبِذَلِكَ أَمَرَنَاْ وَتَعَبَّدَنَاْ

---

([1]): انظر: السامرائي، د. فاضل صالح، *الجملة العربية والمعنى*، ص8.

([2]): آل عمران: 36/3.

([3]): انظر: طبل، حسن، *علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم*، ط2، مكتبة الإيمان، مصر، 1425هـ–2004م، ص48.

وَأَصْلُ ذَلِكَ الاعْتِرَافِ بِمَنِّ اللهِ عَلَيْهِ بِأَنْ عَرَّفَهُ نَفْسَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى مَنْ لَاْ يَعْرِفُ ذَلِكَ وَأَصْلُ الْكَلَاْمِ مَوْضُوْعٌ لِلْفَاْئِدَةِ وَإِن اتَّسَعَتِ الْمَذَاْهِبُ فِيْهِ وَلَكِنْ لَوْ قَاْلَ قَاْئِلٌ: النَّاْرُ حَاْرَّةٌ وَالثَّلْجُ بَاْرِدٌ لَكَاْنَ هَذَاْ كَلَاْماً لَاْ فَاْئِدَةَ فِيْهِ وَإِنْ كَاْنَ الْخَبَرُ فِيْهِمَاْ نَكِرَة[1]".

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاْءَ الْعَرَبَ الْقُدَاْمَى قَدْ عَرَفُوا طَبِيْعَةَ اللُّغَةِ، وَارْتِبَاْطَهَاْ بِكُلٍّ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، فَأَعْطَوا هَذَا حَقَّه فِي التَّعْبِيْرِ عَن انفِعَاْلَاْتِهِ وَشُعُوْرِهِ وَإِحْسَاْسَاْتِهِ، وَذَاْكَ حَقَّهُ فِيْ تَقْدِيْمِ الْمَعْلُوْمَاْتِ وَالْفَوَاْئِدِ لَهُ بِمَاْ يَضْمنُ لِقَوَاْعِدِهِم أَنْ تَكُوْنَ قَاْدِرَةً عَلَى اسْتِيْعَاْبِ الْإِنْسَاْنِ وَتَطَوُّرِهِ فِيْ كُلِّ زَمَاْنٍ وَمَكَاْنٍ.

**الفائدة عند الباحثين المحدثين:**

وَلَمَّاْ كَاْنَتْ هَذِهِ الظَّاْهِرَةُ أَحَدَ عَنَاْصِرِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِيَّةِ الَّتِيْ أَفَاْدَ مِنْهَا النُّحاةُ وَهُمْ يُقَعِّدُوْنَ وَيُنَظِّرُوْنَ لِهَيْكَلِيَّةِ الْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ وَقَوَاْعِدِهِ، طَفِقَ الْمُحْدَثُوْنَ يُشِيْدُوْنَ بِهَذِهِ الظَّاْهِرَةِ، يَقُوْلُ تَمَّاْم حَسَّاْن: "الْإِفَاْدَةُ هِيَ الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ لِلاسْتِعْمَاْلِ اللُّغَوِيِّ[2]"، وَيَقُوْلُ رَشِيْد بلحَبِيْب: "وَمَتى زَاْلَتِ الْفَاْئِدَةُ صَاْرَ الْكَلَاْمُ عِبَاْرَةً عَنْ رُكَاْمٍ مِنَ الْأَلْفَاْظِ[3]".

وقد كَاْنَ الدُّكْتُوْر مَسْعُوْد صَحْرَاْوِيّ أَكْثَرَ إِعْجَاْبَاً بِالْعَبْقَرِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَطَبِيْعَةِ فَهْمِهَاْ لِلُّغَةِ بِنَاْءً عَلَى الْأَدَاْءِ التَّوَاْصُلِيِّ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، فَقَاْلَ مُعبِّراً عن أهمية فائدة المُخاطب في العمليَّة التواصُليَّةِ: "لَعَلَّ مِنْ مَظَاْهِرِ الْعَبْقَرِيَّةِ عِنْدَ بَعْضِهِم أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنَ اللُّغَةِ أَنَّهَاْ مَنْظُوْمَةٌ مِنَ الْقَوَاْعِدِ الْمُجَرَّدَةِ وَإِنَّمَاْ فَهِمُوا مِنْهَاْ أَيْضَاً أَنَّهَاْ لَفْظٌ مُعَيَّنٌ يؤدِّيه مُتكلِّمٌ

---

([1]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، ج1، ص66.

([2]): حسان، تمام، *البيان في روائع القرآن*، ط1، عالم الكتب، 1413هـ–1993م، ص346.

([3]): بلحبيب، رشيد، *أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي*، مجلة اللسان، المغرب، العدد45، ص46.

مُعـيَّنٌ فِـيْ مَقَـاْمٍ مُعَـيَّنٍ لِأَدَاْءِ غَـرَضٍ تواصُـلـيٍّ إِبْلَاْغِـيٍّ مُعَـيَّنٍ، وَلِـذَلِكَ جَعَلُـوا مِـنْ أَهْـدَافِ الدِّرَاْسَةِ النَّحْوِيَّةِ إِفَاْدَةَ الْمُخَاْطَبِ مَعْنَى الْخِطَاْبِ وَإِيْصَاْلِهِ رِسَاْلَة إِبْلَاْغِيَّة إِلَيْهِ[1]".

وَلِهَذَاْ يَقُوْلُ نِهَاْد الْمُوْسَى: "يُمَثِّلُ الْمُخَاْطَبُ أَحَدَ أَعْمِدَةِ الْمَوْقِفِ الْكَلَاْمِيِّ، وَتُصْبِحُ فَاْئِدَةُ الْمُخَاْطَبِ مِعْيَاْرَاً لِصحَّةِ الْكَلَاْمِ[2]"، ويشيرُ إلى أنَّ "النظامَ اللغوي خلق للإفادةِ، أَي: لتبليغِ أغراضِ المتكلم للمستمعِ، فهو آلةُ التبليغِ جوهره تابع لما ولي من أمر الفائدةِ[3]".

وَهَذِهِ الْفَاْئِدَةُ لَاْ تَحْصلُ بِالْكَلَاْمِ إِفْرَاْدَاً وَإِنَّمَاْ تَكُوْنُ مِنْ خِلَاْلِ التراكيبِ، وَيُفَسِّرُ الدكْتُوْر حَسن طبل الْفَرْقَ بَيْنَ الدِّلَاْلَةِ الْإِفْرَاْدِيَّةِ وَالتَّرْكِيْبِيَّةِ مِنْ خِلَاْلِ قَوْلِهِ: "فَاْلْكَلِمَةُ الْمُفْرَدَةُ لَهَاْ دِلَاْلَةٌ عَلَى مَعْنَاْهَا الَّذِيْ وُضِعَتْ إِزَاْءَهُ وَلَكِنَّنَاْ لَاْ نَفِيْدُ مِنْ تِلْكَ الدِّلَاْلَةِ فِيْ ذَاْتِهَاْ شَيْئَاً مَاْ إِذْ إِنَّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ قَدْ سبقَ أَنْ حَصَّلْنَاْهُ وَارتَسَمَتْ صُوْرَتُهُ فِيْ أَذْهَاْنِنَاْ قَبْلَ وَضْعِهَاْ وَبِنَاْءً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ وَظِيْفَةَ وَضْعِ الْكَلِمَاْتِ لَيْسَتْ هِيَ التَّعرِيْفَ بِالْمَعَاْنِي الْمُفْرَدَةِ لَهَاْ بَلْ هِيَ أَنْ تُضَمَّ تِلْكَ الْكَلِمَاْتُ فِيْ بِنَاْءٍ لُغَوِيٍّ تَتَفَاْعَلُ فِيْهِ فَيَنْتجُ عَنْ تَفَاْعُلِهَاْ مَعْنَىً آخَرُ أَوْ مَعَاْنٍ أُخْرَى هِيَ مَاْ يُطْلَقُ عَلَيْهَاْ بِالْفَوَاْئِدِ وَمُقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّ الْفَاْئِدَةَ هِيَ نِتَاْجُ الدِّلَاْلَةِ التَّرْكِيْبِيَّةِ لَا الْإِفْرَاْدِيَّةِ فَلَاْ تَتَحَقَّقُ فِيْهَاْ مَاْ دَاْمَتْ مُفْرَدَةً وَلَاْ تَكُوْنُ إِلَّاْ إِذَاْ تَضَاْمَت الْوَاْحِدَةُ مَعَ الْأُخْرَى[4]".

---

([1]): صَخْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص174.

([2]): المُوْسَى، د. نِهَاْد، *الْأَعْرَاْفُ أَو نَحْو اللِّسَاْنِيَّاْتِ الاجْتِمَاْعِيَّةِ*، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الرابع، العدد الأوَّل، 1985م، ص135–156.

([3]): المُوْسَى، د. نِهَاْد، *نظرية النحو العربي*، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 1400هـ–1980م، ص87.

([4]): طَبَل، د. حَسَن، *المَعْنَى فِي الْبَلَاْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ*، دَاْرُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاْهِرَة–مصْر، ط1، 1418هـ–1998م، ص63.

وَهُنَاْ تَبْرزُ أَهَمِّيَّةُ الْإِسْنَاْدِ بِوَصْفِهِ الْعَامِلَ الْأَوَّلَ فِيْ وِلَاْدَةِ الْفَاْئِدَةِ، وَهَذَاْ مَاْ أَكَّدَهُ حَسَن طَبَل بِقَوْلِهِ: "فَالْإِسْنَاْدُ مِنْ جِهَةٍ يُمَثِّلُ أَسَاْسَ الْفَاْئِدَةِ... وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يُمَثِّلُ قَوَاْمَ الْكَلَاْمِ[1]".

**أثر مبدأ الفائدة في توجيه الإعرابِ:**

بَاْتَ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْعُلَمَاْءَ الْقُدَاْمَى أَقَاْمُوا قَوَاْعِدَهُمْ عَلَى أَسَاْسٍ مَتِيْنٍ هُوَ الْمَعْنَى، وَلَمَّاْ كَاْنَتْ فَاْئِدَةُ الْمُخَاْطَبِ إِحْدَى رَكَاْئِزِ الْمَعْنَى اعْتَمَدُوا عَلَيْهَاْ فِيْ تَوْجِيْهَاْتِهِم النَّحْوِيَّةِ، فتَرَاْهُم وَهُمْ يُحَاْوِلُوْنَ تَفْسِيْرَ النُّصُوْصِ وَتَوْجِيْهَ إِعْرَاْبِهَاْ يَفْزَعُوْنَ إِلَى هَذَا الْمَبْدَأِ.

وَأَكْبَرُ دَلِيْلٍ عَلَى هَذَا التَّصَوُّرِ مَاْ أَوْرَدَهُ أَحْمَدُ بْنُ ولاد فِيْ كِتَاْبِهِ "الانْتِصَاْر لِسِيْبَوَيْهِ عَلَى الْمُبَرِّدِ"، وَذَلكَ فِيْ رِوَاْيَةِ الرَّفْعِ لِكَلِمَةِ يَوْمٍ فِيْ قَوْلِ الْشاعر:

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُوْنَ بَلَاْءَنَاْ إِذَاْ كَاْنَ يَوْمٌ ذُوْ كَوَاْكِبَ أَشْنَعَا[2]

إِذْ نَجِدُهُ يُرَجِّحُ رَأْيَ سِيْبَوَيْهِ وَهُوَ تَمَاْمُ "كَاْنَ" عَلَى رَأْيِ الْمُبَرِّدِ وَهُوَ نقْصَاْنُ "كَاْنَ"، مُعْتَمداً فِيْ ذَلِكَ عَلَى تَقْدِيْمِ فَاْئِدَةٍ لِلْمُخَاْطَبِ، يَقُوْلُ: "الوجه الآخرُ الذي وقعَ فيه يومٌ ذو كواكب، فهو أيضاً على وقعَ، وأشنعَ حالٌ، فأمَّا قول مُحَمَّدٍ: إنَّه يُنْصَبُ أشنعَ على أنَّه خبرُ كانَ فهو غلطٌ؛ لِأَنَّهُ لم يُخْبِرْ بكان ههنا عن أمرٍ ثابتٍ مُستَقِرٍّ به، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إذا قلتَ: كانَ اليومُ الذي تَعْلَمُ عَظيماً، فقد أَخْبرْتَ عن يومٍ واقعٍ معلومٍ، قالَ: والشاعرُ لم يرد هذا، إنَّما أرادَ به: إذا وقعَ يومٌ –هذه حالُه– فَعَلَ وصَنَعَ، ولم يُخْبِرْنا عن أمرٍ واقعٍ؛ لِأَنَّ إذا في معنى الجزاءِ، ويومٌ زمانٌ يَحْدُثُ، ولم يُخَالِفْه مُحَمَّدٌ في أن هذا الوجه من أقسامِ كانَ، ولا في أنَّ الشاهدَ يحتمل ذلك، وإنَّما فسَّرَ البيتَ على ما رآه مُحتملاً غيرَه، وعلى أنَّه

---

([1]): *المصدر السابق*، ص67.

([2]): البيت للشاعر عَمْرو بن شأس، ورواية الديوان: "إذا كانَ يومٌ ذا كواكب أشنعا". انظر: ابن شأس، عَمْرو الأسديّ، *الديوان*، تح: د. يحيى الجبوري، ط2، دار القلم، الكويت، 1403هـ–1083م، ص31.

ليسَ بشاهدٍ قاطعٍ على المعنى الذي أرادَه سيبويه دونَ غيره لمَّا رأى أشنعا منصوباً، وكانَ غيرِه مُحتملاً أنْ يكونَ خبراً، لا حالاً، ولَعمري لو أخبرَ عن أمرٍ مستقرٍّ ثابتٍ ولكنَّه أخبرَ به عن أمرٍ ممكنٍ حدُوثُه وفيه حرف الشركةِ، فمِن ههنا جعلَه سيبويه حالاً، ولم يجعلْه خبراً[1]".

مِنَ الْوَاْضِحِ أَنَّ سِيْبَوَيْهِ رَأَى أَنَّ "كَاْنَ" فِي الْبَيْتِ تَاْمَّةٌ وَ"يَوْمٌ" فَاْعِلٌ، وَ"أَشْنَعا" حَاْلٌ، فَهُوَ بِهَذَا الْوَجْهِ يُخَبِّرُ المخاطَبَ شَيْئاً غَيْرَ وَاْقِعٍ، فَهُوَ أَرَاْدَ بِهِ: إِذَاْ وَقَعَ يَوْمٌ –هَذِهِ حَاْلُهُ – فَعَلَ وَصَنَعَ بِخِلَاْفِ رَأْيِ الْمُبَرِّدِ الَّذِي رَأَى أَنَّ "كَانَ" يُمكنُ أنْ تكونَ فِعْلاً مَاْضياً نَاْقِصاً، وَ"يوم" اسمهَاْ و"أَشْنَعَا" خَبرهَاْ، وَيَكُوْنُ الْإِخْبَاْرُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ شَيْئاً مَعْلُوْماً غَيْرَ مُفِيْدٍ، وَالَّذِي دَفَعَ بِالْمُبَرِّدِ إِلَى هَذَا الْوَجْهِ الشَّكْلُ الظَّاْهرُ بِالْإِضَاْفَةِ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي رَآهُ، وَبِذَلِكَ يكونُ سِيْبَوَيْهِ يقومُ بتحليلِ التَّرَاْكِيْبِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَعْلِيْلِهَاْ بِنَاْءً عَلَى عِلَلٍ مَأْخُوْذَةٍ مِنَ الْوَاْقِعِ الاسْتِعْمَاْلِيِّ لِلُّغَةِ، إِذْ كَاْنَتْ هَذِهِ الْعِلَّةُ هِيَ تَقْدِيْمَ الْفَاْئِدَةِ لِلْمُخَاْطَبِ، وَهَذَا مَاْ يُؤَكِّدُهُ ابْنُ سِيْدَة مُشِيْداً بِتَوْجِيْهِ سِيْبَوَيْهِ إِذْ قَاْلَ: "أَشْنَع حَاْلٌ، وَلَاْ تَكُوْنُ خَبَراً لِكَاْنَ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ سَبِيْلُهُ أَنْ يَكُوْنَ مُفِيْداً، وَلَيْسَ فِي أَشْنَع مِنَ الْفَاْئِدَةِ إِلَّا مَاْ فِيْ قَوْلِهِ: "ذُوْ كَوَاْكِب"؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ إِذَا كَاْنَ ذَاْ كَوَاْكِبَ كَاْنَ شَنِيْعاً إِذْ ظُهُوْرُ الْكَوَاْكِبِ إِنَّمَاْ يَكُوْنُ لِلْتَاْمِ الَّذِيْ يكسِفُ ضَوْء الشَّمْسِ، فَتَظْهَر. وَهَذَاْ مِنْ دَقَاْئِقِ سِيْبَوَيْهِ الَّتِيْ يُسَمِّيْهَا الْمُتَأَمِّلُ إِعْجَاْزاً[2]".

ويَسْتَنِدُ ابْنُ جِنِّي إِلَى حُصُوْلِ فَاْئِدَةٍ جَدِيْدَةٍ لِلْمُخَاْطَبِ فِيْ تَوْجِيْهِ إِعْرَاْبِ كَلِمَةِ "خَاْسِئِيْنَ" مِنْ قَوْلِهِ تَعَاْلَى: **{فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}**[3] فَهُوَ يَرَى أَنَّ كَلِمَةَ "خاسئين" إِذَاْ أُعْرِبَتْ خَبَراً ثَاْنِيَاً تُفِيْدُ الْمُخَاْطَبَ مَعْنَىً جَدِيْداً يَعْلُو بِهِ الْكَلَاْمُ، أَكْثَر مِمَّاْ تفيدُهُ إِذَاْ

---

([1]): ابن ولاد، أحمد بن محمد، *الانتصار لسيبويه على المبرد*، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ–1996م، ص51–53.

([2]): ابن سيدة، شرح مشكل شعر المتنبي، تح: د. محمد رضوان الداية، د. ط، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت، ص294.

([3]): البقرة: 65/2.

أُعْرِبَتْ صِفَةً؛ لِأَنَّهَا تُعْطِيْ مَعْنَىً مُعَادَاً وَتَكُوْنُ عِبَارَةً عَنْ تَحْصِيْلِ حَاصِلٍ وَلَغْوَاً لَاْ فَائِدَةَ فِيْهِ، يَقُوْلُ ابْنُ جِنِّيْ: "يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ "خاسئين" خَبَرَاً آخَرَ لـ "كونوا" وَالْأَوَّلَ "قِرَدة" فَهُوَ كَقَوْلِكَ: هَذَاْ حُلْو حَامِض وَإِنْ جَعَلْتَهُ وَصْفَاً لـِ "قِرَدة" صَغُرَ مَعْنَاْه أَلَاْ تَرَى أَنَّ الْقِرْدَ لِذِلِّهِ وَصَغَارِهِ خَاْسِئٌ أَبَدَاً فَيَكُوْنُ إِذَاً صِفَةً غَيْرَ مُفِيْدَةٍ، وَإِذَاْ جَعَلْتَ "خاسئين" خَبَرَاً ثَاْنِيَاً حَسُنَ وَأَفَاْدَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَاْلَ: كُوْنُوا قِرَدَةً وَكُوْنُوا خَاْسِئِيْنَ أَلَاْ تَرَى أَنْ لَيْسَ لِأَحَدِ الْإِسْمَيْنِ مِنَ الْإِخْتِصَاْصِ بِالْخَبَرِيَّةِ إِلَّا مَاْ لِصَاْحِبِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الصِّفَة بَعْدَ الْمَوْصُوْفِ إِنَّمَا اخْتِصَاْص الْعَاْمِلِ بِالْمَوْصُوْفِ ثُمَّ الصِّفَة مِنْ بَعْد تَاْبِعَة له[1]".

وَبِذَلِكَ يَكُوْنُ "الْإِعْرَاْبُ عِنْدَ ابْنِ جِنِّيْ لَيْسَ مُجَرَّدَ أَنْ يَنْظُرَ الْمُعْرِبُ فِيْ قَوَاْعِدِ النَّحْوِيِّيْنَ فَيُبِيْحُ مَاْ أَبَاْحَتْ وَيَمْنَعُ مَاْ مَنَعَتْ، وَإِنَّمَاْ هُوَ رَصْدٌ لِلْمَعْنَى، وَإِصْلَاْحٌ لَهُ، وَجَلْبٌ لِلْفَاْئِدَةِ الْمُتَوَخَّاْةُ مِنَ الْكَلَاْمِ وَإِضْفَاْءُ الْحسنِ عَلَيْهِ[2]".

وَقَدْ كَاْنَ الزَّمَخْشَرِيّ يُقَلِّبُ نَاْظِرَيْهِ فِي الْأَوْجُهِ الْإِعْرَاْبِيَّةِ، فَيَقْبَلُ مَاْ يَحْتَمِلُهُ الْمَعْنَى وَيُقَدِّمُ فَاْئِدَةً، وَيَرْفضُ مَاْ دُوْنَ ذَلِكَ، فَقَدْ جَاْءَ فِيْ تَوْجِيْهِهِ قَوْلَه تَعَاْلَى: **{وَكَاْنَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}**[3] مَاْ يَأْتِي: "الْمَنْصُوْبَاْن –أَعْنِي {بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً}– جَاْئِزٌ أَنْ يَكُوْنَا خَبَرَيْن مَعاً، وَأَنْ يَحْتَمِلَ بَيْنَ ذَلِكَ لَغْواً، وَقَوَاْماً مُسْتَقراً، وَأَنْ يَكُوْنَ الظَّرْفُ خَبَراً، وَقَوَاْماً حَاْلاً مُؤَكَّدَةً. وَأَجَاْزَ الْفَرَّاْءُ أَنْ يَكُوْنَ {بَيْنَ ذلِكَ} اسْمَ كَاْنَ، عَلَى أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِإِضَاْفَتِهِ إِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ[4]".

---

([1]): ابنُ جِنِّيّ، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَاْن، *الخَصَاْئِص*، ج2، ص159 .

([2]): يُوْسف مُصْطَفَى، د. عُمَر، *دِرَاْسَاْتٌ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ*، دَاْرُ الْيَنَاْبِيْعِ، دِمَشْقُ، ط1، 2008م، ص121.

([3]): الفرقان: 67/25.

([4]): الزمخشري، *الكشاف*، تح: عبد الرزاق المهدي، ج3، ط2، دار إحياء التراث العربي– مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، 1421هـ–2001م، ص 299.

ثُمَّ نَرَاْهُ يُضَعِّفُ رَأْيَ الْفَرَّاْءِ بِسَبَبِ عَدَمِ وُجُوْدِ فَاْئِدَةٍ فِيْهِ، يَقُوْلُ: "وَهُوَ مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَاْبِ لَاْ بَأْسَ بِهِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى لَيْسَ بِقَوِيٍّ؛ لِأَنَّ مَاْ بَيْنَ الْإِسْرَاْفِ وَالتَّقْتِيْرِ قَوَاْمٌ لَاْ محَاْلَة، فَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ الَّذِيْ هُوَ مُعْتَمَدُ الْفَاْئِدَةِ فَاْئِدَةٌ[1]".

وَمِنَ الْآيَاْتِ الَّتِي يُمْكِنُ دِرَاْسَتُها تَحْتَ هَذَا الْمَبْحَثِ، قَوْلُه تَعَاْلَى: **{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}**[2]، فقد انتقدَ أبو السعودِ، مُستفيداً من مبدأ الفائدةِ، مَن ذهبَ إلى أنَّ "قلوب" مبتدأ، وواجفة صفة، وجملة {أبصارها خاشعة} خبرٌ، إذْ مِنَ الْمَعْلُوْمِ أنَّ رَجِيْفَ الْقُلُوْبِ أَكْثَرُ هَوْلاً وَأَشَدُّ أَثَراً مِنْ خُشُوْعِ الْأَبْصَاْرِ، وَخُشُوْعُ الْأَبْصَاْرِ أَهْوَنُ مِنْ رَجِيْفِ الْقُلُوْبِ، فَكَيْفَ نَجْعَلُ مَاْ يَدُلُّ عَلَى التَّهْوِيْلِ صِفَةً، وَمَاْ يَدُلُّ عَلَى التَّهْوِيْنِ خَبَراً، يَقُوْلُ: "قَوْلُهُ تَعَاْلَى {قُلُوْب يومئذ واجفة} أَيْ: يَوْمَ تَرْجِفُ وَجفت الْقُلُوْب. قِيْلَ {قُلُوب} مُبْتَدَأ وَ{يَوْمئذ} مُتَعَلِّقٌ بِـ {وَاْجِفَة} وَهِيَ صِفَةٌ لِقُلُوْبٍ مُسَوّغَة لِوُقُوْعِهِ مُبْتَدَأً، وَقَوْلُهُ تَعَاْلَى {أَبْصَارها} أَيْ: أَبْصَاْر أَصْحَاْبٍ {خَاْشِعَة} جملة من مبتدأ وخبر وَقَعَتْ خَبَراً لِقُلُوْبٍ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ حَقَّ الصِّفَةِ أَنْ تَكُوْنَ مَعْلُوْمَةَ الانْتِسَاْبِ إِلَى الْمَوْصُوْفِ عِنْدَ السَّاْمِعِ حَتَّى قَاْلُوا: إِنَّ الصِّفَاْتِ قَبْلَ الْعِلْمِ بِهَاْ أَخْبَاْرٌ، وَالْأَخْبَاْرَ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهَاْ صِفَاْتٌ، فَحِيْثُ كَاْنَ ثُبُوْتُ الْوَجِيْفِ لِلْقُلُوْبِ وَثُبُوْتُ الْخُشُوْعِ لِأَبْصَاْرِ أَصْحَاْبِهَاْ سَوَاْءً فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْجَهَاْلَةِ كَاْنَ جَعْلُ الْأَوَّلِ عِنْوَاْناً لِلْمَوْضُوْعِ مُسَلَّمَ الثُّبُوْتِ مَفْرُوْغاً عَنْهُ، وَجَعْلُ الثَّاْنِي مُخْبَراً بِهِ مَقْصُوْدُ الْإِفَاْدَةِ تَحَكُّماً بَحْتاً عَلَى أَنَّ الْوَجِيْفَ الَّذِيْ هُوَ عِبَاْرَةٌ عَنْ شِدَّةِ اضطراْبِ الْقَلْبِ وَقَلَقِهِ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْوَجَل أَشَدُّ مِنْ خُشُوْعِ الْبَصَرِ وَأَهْوَلُ، فَجَعْلُ أَهْوَنِ الشَّرَّيْنِ عُمْدَةً وَأَشَدِّهِمَاْ فَضْلَةً مِمَّاْ لَاْ عَهْدَ لَهُ فِي الْكَلَاْمِ، وأَيْضاً فَتَخْصِيْصُ الْخُشُوْعِ بِقُلُوْبٍ مَوْصُوْفَةٍ بِصِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ غَيْرِ مُشْعِرَةٍ بِالْعُمُوْمِ وَالشُّمُوْلِ تَهْوِيْنٌ لِلْخَطْبِ فِيْ مَوْقِعِ التَّهْوِيْلِ، فَالْوَجْهُ أَنْ يُقَاْلَ تَنْكِيْرُ {قُلُوب} يَقُوْمُ مَقَاْمَ الْوَصْفِ الْمُخْتَصِّ سَوَاْء عَلَى حَمْلِ التَّنْوِيْعِ كَمَاْ قِيْلَ، وَإِنْ لَمْ يُذْكَر النَّوْعُ الْمُقَاْبِلُ، فَإِنَّ

---

([1]): *المصدر السابق*، ج3، ص299.

([2]): القارعة: 8/79–9.

الْمَعْنَى مُنْسَحِبٌ عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى التَّكْثِيْرِ كَمَاْ فِيْ (شَرٌّ أَهَرَّ ذَاْ نَاْبٍ)، فَإِنَّ التَّفْخِيْمَ كَمَاْ يَكُوْنُ بِالْكَيْفِيَّةِ يَكُوْنُ بِالْكَمِّيَّةِ أَيْضاً كَأَنَّهُ قِيْلَ قُلُوْب كَثِيْرَة يَومَ إِذْ يَقَعُ النَّفْخَتَاْنِ {واجفة} أَيْ: شَدِيْدَة الاضطرَاْبِ[1]"، وَعَلَى هَذَا يَكُوْنُ إِعْرَاْبُ {قلوب} مُبْتَدَأً، و{واجفة} خَبَره، وَجُمْلَةُ {أبصارها خاشعة} صِفَة لـ {قلوب}، وَعَدَّ الأَلُوْسِيُّ هَذَا الْإِعْرَاْبَ هُوَ الْأَظْهَرَ[2].

وَيَتَبَنَّى ابْنُ عَاْشُوْر هَذَا الرَّأْيَ، وَلَكِنَّه يَجْعُلُ {أبصارُها خاشعة} خَبَراً ثَاْنِيَاً، يَقُوْلُ: "وَتَنْكِيْرُ {قلوب} لِلتَّكْثِيْرِ، أَيْ: قُلُوْب كَثِيْرَة وَلِذَلِك وَقَعَ مُبْتَدَأً، وَهُوَ نَكِرَةٌ لِإِرَاْدَةِ النَّوْعِيَّةِ، وَالْمُرَاْدُ: قُلُوْبُ الْمُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ كَاْنُوا يَجْحَدُوْنَ الْبَعْثَ، فَإِنَّهُم إِذَاْ قَاْمُوا فَعَلِمُوا أَنَّ مَاْ وَعَدَهُم الرَّسُوْلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ حَقٌّ تَوَقَّعُوا مَاْ كَاْنَ يُحَذِّرُهُم مِنْهُ مِنْ عِقَاْبِ إِنْكَاْرِ الْبَعْثِ وَالشِّرْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَاْلِهِمْ، فَأَمَّاْ قُلُوْبُ الْمُؤْمِنِيْنَ فَإِنَّ فِيْهَا اطمِئْنَاْنَاً مُتَفَاْوِتاً بِحَسْبِ تَفَاْوُتِهِم فِي التَّقْوَى، وَالْخَوْفُ يَوْمَئِذٍ وَإِنْ كَاْنَ لَاْ يَخْلُوْ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا أَنَّ أَشَدَّهُ خَوْفُ الَّذِيْنَ يُوْقِنُوْنَ بِسُوْءِ الْمَصِيْرِ، وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهُم كَاْنُوْا ضَاْلِّيْنَ فِي الْحَيَاْةِ الدُّنْيَاْ، وَالْوَاْجِفَةُ: الْمُضطرِبَةُ مِنَ الْخَوْفِ، يُقَاْلُ: وَجِف كَضَرِفَ وجَفّاً وَوَجِيْفاً وَوُجُوْفاً، إِذَا اضطرَبَ. وَ{واجفة} خَبَرُ {قلوب}، وَجُمْلَةُ {أبصارها خاشعة} خَبَرٌ ثَاْنٍ عَنْ {قلوب}، وَقَد زَاْدَ الْمُرَاْدَ مِن الْوَجِيْفِ بَيَاْناً قَوْلُه {أبصارها خاشعة}، أَيْ: أَبْصَاْر أَصْحَاْبِ الْقُلُوْبِ[3]"، وَهُنَا نَرَى الْفَرْقَ بَيْنَ رَأْيِ ابْنِ عَاْشُوْر وَأَبِي السُّعُوْدِ، فَأَبُو السُّعُوْد جَعلَ المُخَاطَبَ عَاْرِفاً أَنَّ الْأَبْصَاْرَ تَكُوْنُ خَاْشِعَةً، فَأَعْرَبَ الْجُمْلَةَ صِفَةً، وَلَكِنَّ ابْنَ عَاْشُوْر جَعَلَ الْمُخَاْطَبَ غَيْرَ عَاْرِفٍ ذَلِكَ، فَجَاْءَتْ جُمْلَةُ {أَبْصَارها خاشعة} لِتُعْطِيَهُ مَعْنَىً جَدِيْداً، وَفَاْئِدَةً أُخْرَى، فَجَعَلَهَاْ خَبَراً ثَاْنِياً.

---

([1]): أَبُو السُّعُوْد، *إِرْشَاْدُ الْعَقْلِ السَّلِيْمِ إِلَى مَزَاْيَا الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ*، ج9، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص97.

([2]): الأَلُوْسِيُّ، شِهَاْبُ الدِّيْنِ، *روحُ الْمَعَاْنِي فِي تَفْسِيْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَاْنِي*، ج30، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص26.

([3]): ابنُ عَاْشُوْر، مُحَمَّد الطَّاْهِر، *التَّحْرِيْر وَالتَّنْوِيْر*، ج30، د. ط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، ص67–68.

وَمِمَّا سَبَقَ نَؤُكِّدُ أَنَّ العُلَمَاءَ الْعَرَبَ القُدَامَى قَدْ عَمِلُوا عَلَى تَحْلِيْلِ التَّرَاْكِيْبِ اللُّغَوِيَّةِ بِنَاءً عَلَى الْمَوْقِفِ الْكَلَاْمِيِّ الَّذِي يَتمُّ فِيْهِ التَّوَاْصُلُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَمُخَاْطَبٍ وَيَتَأَثَّرُ بِكُلِّ مَاْ يُمْكِنُ أَنْ يَلْقِيَ بِظِلَاْلِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِنْ أُمُوْرٍ كَثِيْرةٍ وَمُعَقَّدَةٍ، وَهَذَا مَاْ لَمَسْنَاْهُ وَاْضِحاً فِيْ هَذَا الْمَبْحَثِ الَّذِي يَقُوْمُ عَلَى تَتَبُّعِ ظَاْهِرَةِ فَاْئِدَةِ السَّاْمَعِ عِنْدَ عُلَمَاْئِنَا الْقُدَاْمَى فَقَدْ عَمِلُوا جهْدَهُمْ فِيْ تَوْجِيْهِ إِعْرَاْبِ النُّصُوْصِ بِنَاْءً عَلَى الْفَاْئِدَةِ الَّتِي يَجْنِيْهَا الْمُخَاْطَبُ مِنَ النَّصِّ فَأَثْبَتُوا الْوَجْهَ الْإِعْرَاْبِيَّ الَّذِيْ يُقَدِّمُ الْفَاْئِدَةَ وَأَلْغَوْا ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِيْ لَاْ يجْدِي نَفْعاً لِلْمُخَاْطَبِ.

**النَّتَاْئِجُ وَالتَّوْصِيَاْتُ:**

انعَقَدَ الْبَحْثُ لِيَتَنَاْوَلَ مَفْهُوْمَ الْفَاْئِدَةِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ، وَهُوَ أَحَدُ أَهَمِّ الْمَفَاْهِيْمِ الَّتِيْ تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا النَّظَرِيَّةُ التَّدَاْوُلِيَّةُ، وَذَلِكَ نَاْبِعٌ مِن اعْتِقَاْدِنَاْ بِأَنَّ دِرَاْسَةَ التُّرَاْثِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيْمِ بِمَنْظُوْرٍ جَدِيْدٍ يَسْتَجِيْبُ لِتَطَوُّرِ مُعْطَيَاْتِ الدَّرْسِ الْحَدِيْثِ تَعُوْدُ بِالْخَيْرِ الْجَمِّ عَلَيْهِ وَتُؤَدِّي إِلَى إِثْرَائِهِ بِمُصْطَلَحَاْتٍ عَصْرِيَّةٍ جَدِيْدَةٍ، وَتَعْمَلُ عَلَى تَحْلِيْلِ التَّرَاْكِيْبِ النَّحْوِيَّةِ بِنَاْءً عَلَى الْمَعْنَى، وَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نُلَخِّصَ أَهَمَّ مَاْ تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْبَحْثُ فِي النِّقَاْطِ الْآتِيَةِ:

أَوَّلاً: اتَّضحَ الفَرقُ بَيْنَ مُصْطَلَحَي الفَائِدَةِ وَالإِفْهَاْمِ؛ فَالفَائِدَةُ تَتَّجِهُ إِلَى الْمُخَاْطَبِ، وَهِيَ مَا يَجْنِيْهِ مِنَ الْخِطَاْبِ، وَالإِفْهَاْمُ يَتّجِهُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ الَّذِي يُرْسِلُ كَلَاْمَهُ وَاْضِحَاً مَفْهُوْماً، وَيَبْدُو أَنَّ الإِفْهَاْمَ شَرْطٌ لِتَحْقِيْقِ الْفَاْئِدَةِ عِنْدَ الْمُخَاْطَبِ.

ثانياً: حَرصَ الْعُلَمَاْءُ الْعَرَبُ فِيْ أَثْنَاْءِ تَقْعِيْدِهِم الكَلَاْمَ الْعَرَبِيَّ عَلَى أَخْذِ لُغَتِهِمْ مِنَ الْمَوَاْقِفِ التّخَاْطُبِيَّةِ الَّتِيْ تَجْرِيْ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، وَذَلِكَ انطِلَاْقاً مِنْ إِيْمَاْنِهِم بِأَنَّ اللُّغَةَ بِنْتُ الْمُجْتَمَعِ، فِيْهِ تَتَكَوَّنُ دِلَاْلَاْتُهَاْ وَتَأْخُذُ مَعَاْنِيْهَاْ، وَبِنَاْءً عَلَى هَذِهِ الْحَقِيْقَةِ عَمِلُوا عَلَى تَفْسِيْرِ النُّصُوْصِ اللُّغَوِيَّةِ وَتوجيه قواعدهم وتعليلها.

ثالثاً: وَبِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَائِدَةَ هِيَ إِحْدَى رَكَائِزِ الْمَوَاقِفِ التَّخَاطُبِيَّةِ، قَامَتِ اللُّغَةُ عَلَى أَسَاسِهَا، وَبِذَلِكَ يُعَدُّ مَفْهُوْمُ الْفَائِدَةِ أَحَدَ الْمَفَاهِيْمِ الَّتِيْ تَنْتَمِيْ إِلَى مَجَالِ الاسْتِعْمَالِ اللُّغَوِيِّ فِي الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَهُوَ أَلْصَقُ بِالْمُخَاطَبِ الَّذِيْ يَسْعَى إِلَى الْحُصُوْلِ عَلَى فَائِدَةِ الْكَلَامِ.

رابعاً: أَقَامَ الْعُلَمَاءُ الْعَرَبُ نِظَامَهُم اللُّغَوِيَّ عَلَى أَسَاسِ الْفَائِدَةِ الَّتِيْ تَعْنِي تَبْلِيْغَ أَغْرَاضِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى السَّامِعِ، فَاشْتَرَطُوْا لَهَا الصِّحَّةَ الْقَوَاعِدِيَّةَ أَيْ تَأْلِيْفُ الْكَلَامِ عَلَى هَيْئَةٍ مَخْصُوْصَةٍ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الصِّحَّةِ الدِّلَالِيَّةِ، أَيْ: أَنْ تَحملَ الْجُمْلَةُ مَعْنَى مَقْبُوْلاً سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْمَعْنَى الدِّلَالِيُّ حَقِيْقِيّاً أَمْ مَجَازِيّاً.

خامساً: إِنَّ تَنَاوُلَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ مَفْهُوْمَ الْفَائِدَةِ يُؤَكِّدُ أَنَّ النَّحْوَ قَرِيْبٌ مِنَ الْجُمْلَةِ بَعِيْدٌ عَنِ الْكَلِمَةِ، فَهُم أَكَّدُوا مِرَاراً أَنَّ الْفَائِدَةَ تَتَعَلَّقُ بِالتَّرْكِيْبِ لَا الْكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ.

سادساً: اعْتَمَدَ الْعُلَمَاءُ الْعَرَبُ عَلَى الْفَائِدَةِ فِيْ تَفْسِيْرِ النُّصُوْصِ وَالْمَسَائِلِ اللُّغَوِيَّةِ، وَطَالَمَا كَانَتِ الْفَائِدَةُ نَابِعَةً مِنَ الْمَوْقِفِ التَّخَاطُبِيِّ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى رُوْحِ اللُّغَةِ، وَأَبْعَدَ عَنْ فَلْسَفَةِ الْمُتَكَلِّمِيْنَ؛ لِأَنَّ الاسْتِعْمَالَ لَا يَخْضَعُ لِلْمَنْطِقِ وَلَا يَرْتَبِطُ بِهِ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

سابعاً: إِنَّ دِرَاسَةَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ لِمَفْهُوْمِ الْفَائِدَةِ لَمْ يَجْعَلْهُمْ يَتَنَاسَون أَنَّ اللُّغَةَ تَلْتَصِقُ أَيْضاً بِالْمُتَكَلِّمِ الَّذِيْ قَدْ يُفْرِغُ شُعُوْرَهُ وَأَحَاسِيْسَهُ فِيْهَا دُوْنَ أَنْ يَكُوْنَ غَرَضُهُ نَقْلَ مَعْلُوْمَاتٍ جَدِيْدَةٍ لِلْمُخَاطَبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْعَرَبَ الْقُدَامَى قَدْ عَرَفُوا طَبِيْعَةَ اللُّغَةِ، وَارْتِبَاطِهَا بِكُلٍّ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ، فَأَعْطَوا هَذَا حَقَّهُ فِي التَّعْبِيْرِ عَنِ انْفِعَالَاتِهِ وَشُعُوْرِهِ وَإِحْسَاسَاتِهِ، وَذَاكَ حَقَّهُ فِي تَقْدِيْمِ الْمَعْلُوْمَاتِ وَالْفَوَائِدِ لَهُ بِمَا يَضْمنُ لِقَوَاعِدِهِم الاسْتِمْرَارَ وَالْبَقَاءَ، وَتَكُوْنَ قَادِرَةً عَلَى اسْتِيْعَابِ الإِنْسَانِ وَتَطَوُّرِهِ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

ثامناً: أَكَّدَ الْبَاحِثُوْنَ الْمُحْدَثُوْنَ أَهَمِّيَّةَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ عِنْدَ عُلَمَائِنَا الْعَرَبِ الْقُدَامَى وَأَشَادُوا بِمَا قَدَّمُوْهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَاكْتَفَوْا بِتَأْكِيْدِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُدَامَى دُوْنَ إِضَافَاتٍ تُذْكَرُ.

**المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم.

1- الأَلُوْسِيُّ، شِهَابُ الدِّيْنِ، *روحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي*، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

2- الآمدي، *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*، تح: أحمد صقر، ط4، دار المعارف، د. ت.

3- الأَنْصَارِيُّ، جَمَالُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَامٍ، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، دار الطلائع، مصر، د. ت.

4- الأَنْصَارِيُّ، جَمَالُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَامٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَارِيْبِ*، تَح: مَازِن الْمُبَارَك- مُحَمَّد عَلَيّ حَمد الله، مُرَاْجَعَة سَعِيْد الْأَفْغَانِيّ، د. ط، دَارُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت-لبْنَان، 1432هـ- 2010م.

5- بلخير، عمر، *تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التواصلية*، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م،

6- جاكبسون، *قضايا الشعرية*، تر: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م.

7- الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تح: د. محمد التنجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م،

8- ابنُ جِنِّيّ، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَان، *الخَصَائِصُ*، تح: محمد علي النجار، د. ط، عالم الكتب بيروت، د. ت.

9- ابن الحاجب، *الإيضاح في شرح المفصل*، تح: إبراهيم محمد عبد الله، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1425هـ-2005م.

10- حسان، تمام، *الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عندَ العرب*، عالم الكتب، مصر، 1420هـ-2004م،

11- حسان، تمام، *البيان في روائع القرآن*، ط1، عالم الكتب، 1413هـ-1993م.

12- حسن، عباس، *النحو الوافي*، ط1، آوند دانش، مصر، 1425هـ-2004م.

13- الرازي، محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.

14- الزمخشري، *الكشاف*، تح: عبد الرزاق المهدي، ط2، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، 1421هـ-2001م

15- السامرائي، د. فاضل صالح، *الجملة العربية والمعنى*، ط1، دار حزم، بيروت، 1421هـ-2000م،

16- ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م

17- أَبُو السُّعُوْد، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيْمِ إِلَى مَزَايَا الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

18- السكاكي، *مفتاح العلوم*، ضبطه وعلَّقَ عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ-1987م،

19- سيبويه، *الكتاب*، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م.

20- ابن سيدة، شرح مشكل شعر المتنبي، تح: د. محمد رضوان الداية، د. ط، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت.

21- ابن شأش، عَمْرو الأسديّ، *الديوان*، تح: د. يحيى الجبوري، ط2، دار القلم، الكويت، 1403هـ-1083م،

22- صَحْرَاوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ: دِرَاسَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ لِظَاهِرَةِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ فِي التُّرَاثِ اللِّسَانِيِّ الْعَرَبِيِّ*، ط1، دَارُ الطَّلِيْعَةِ، بَيْرُوْت، 2005م،

23- طبل، د. حسن، *علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم*، ط2، مكتبة الإيمان، مصر، 1425هـ-2004م

24- طَبْل، د. حَسَن، *المَعْنَى فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ*، دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَة-مصْر، ط1، 1418هـ-1998م

25- ابنُ عَاشُوْر، مُحَمَّد الطَّاهِر، *التَّحْرِيْر وَالتَّنْوِيْر*، د. ط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

26- عبد اللطيف، د. محمد حماسة، *العلامة الإعرابية في الجملة العربية بين القديم والحديث*، الكويت، 1983م،

27- ابن عقيل، بهاء الدين، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر، د. ت.

28- الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، بعناية: د. كوكب ديب دياب، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، 2004م.

29- فوراري، تسعديت، *المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008م.

30- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.

31- مصطفى، إبراهيم وغيره، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، ج1، دار الدعوة، د. ت.

32- ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ط1، دار صادر، لبنان، د.ت،

33- المُوْسَى، د. نِهَاْد، *نظرية النحو العربي*، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 1400هـ-1980م.

34- النعيمي، د. حسان سعيد، *ابن جني عالم العربية*، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.

35- ابن ولاد، أحمد بن محمد، *الانتصار لسيبويه على المبرد*، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ-1996م.

36- ابن يعيش، *شرح المفصّل*، تح: إميل يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ-2001م،

37- يُوْسف مُصْطَفَى، د. عُمَر، *دِرَاْسَاْتٌ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ*، دَاْرُ الْيَنَاْبِيْعِ، دِمَشْقُ، ط1، 2008م.

**المجلات والدوريات:**

1- بلحبيب، رشيد، *أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي*، مجلة اللسان، المغرب، العدد45.

2- لهويمل، باديس، *السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية*، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، 2013م.

3- المُوْسَى، د. نِهَاْد، *الْأَعْرَاْفُ أَو نَحْو اللِّسَاْنِيَّاْتِ الاجْتِمَاْعِيَّةِ*، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الرابع، العدد الأوَّل، 1985م.

**Sources and references:**

The Holy Qur'an.

1. Al-aloosy, Shihab Aldin, The spirit of meanings in the interpretation of the the Oft-Repeated Seven Verses and the Holy Qur'an, the Arab Heritage Revival House, Beirut, S.E

2. Al-Amadi, The Comparision Abu Tammam's Poetry with Al-Bahtari, Edited by Ahmed Saqr, Edit 4, Dar al-Ma'arf, In and D.

3. Ansari, Jamal al-Din bin Hisham, Qatar's Explanation of Dew and Even Echo, editing by Mohammed Mohieddin Abdul- Hamid, Dar al-Tala'a, Egypt, M and D.

4. Ansari, Jamal al-Din bin Hisham, Mughni of the wit for strangers Books, Edit Mazin Al- Mubarak- Muhammad Ali HamadAllah, Rev. Sa'id Al-Afghani, Dar Alfikr, Beirut, Lebanon, 1432 H- 2010 AD.

5. BlKhir, Omar, Analysis of theatrical discourse in the light of communicative theory, Edit 1, Manshorat Al'ekhtilaf, Algeria, 2003 AD.

6. Jackson, Poetic Issues, Trans: Muhammad Alwali and Mubarak Hannoun, edit1, Dar Twifal, Morocco, 1988 AD.

7. Al-Jarjani, Abdul Qahir, Signs of Miracles, Edit. Dr Muhammad Altaji, edit1, Dar Alkitab Ala'rabi, Beirut, 1995 AD.

8. Ibn Hali, Abu Al-Fath Osman, Characteristics, edit Muhammad Ali Alnajjar, Alam Alkutub, Beirut, R.D.

9. Ibn Alhajib, Explanation in explaining the detailed, edit: Ibrahim Muhammad Abdullah, e1, Dar Sa'd Aldeen, Damascus, 1425 H- 2005 AD.

10. Hsan, Tammam, Origins an east-of-the-world study of linguistic thought in Arabs, Alam Alkutub, Egypt, 1420 H- 2004 AD.

11. Hasan, Tammam, Statement in the masterpieces of the Qur'an, ed 1, Alam Alkutub, 1413 H – 1993 AD.

12. Hasan, Abbas, Comprehensive Grammar, Edit 15, E. D.

13. Al-Razi, Muhammad Bin Abi Bakr, Mukhtar Al-Sihah, Lebanon Library, Beirut, 1986 AD.

14. AlZamakShari, the Search Light, ed. Abdalrazak Almahdi, edit2, the reviving of Arab Heritage, Arab History Establishment, Beirut, Lebanon, 1421 H – 2001 Ad.

15. Alsamara'ii, Dr Fadel Salih, Arabic Sentence and Semantics, edit1, Dar Hazem, Beirut, 1421 H- 2000 AD.

16. Ibn AlSaraj, The sources of Grammar, Abd AlHussain Al fatli, edit3, Muassasat Alrisalah, Beirut, 1988 AD.

17. Abu Asa'ud, Guiding the Right Mind to the Merits of the Holy Qur'an, S.C, the Arab Heritage Revival House, Beirut, S.E.

18. Alsakaki, The key of Sciences, commented by Na'im Zarzor, edit 2, Dar Alkutub for sciences, Beirut, 1407 H – 1986 AD.

19. Sybaweh, The Book, edit. Abd Alsalam Haroun, part1, edit2, Scientific Books House, Cairo, 1408 H- 1988 AD.

20. Ibn Saida, AlMutanabi's Poetry Explanation, edit. Dr Muhammad Radwan Daya, AlMa'moun House of Heritage, Damascus, S.E.

21. Ibn Shash, Amr Alasadi, Divan, edit. Dr Yahya Aljbori, ed 2. Dar Alkalam, Kuwait, 1403 H - 1083 AD.

22. Sahrawi, Dr Maso'ud, The circulation of Arab Scholars, A circulating study Speech verbs Phenomenon in the Arab Linguistics Heritage, ed1, Dar Altali'a, Beirut, 2005 AD.

23. Tabl, Dr Hasan, Semantic Science in Rhetoric Heritage rooting and evaluation, edit 2, Maktabat AlIman, Egypt, 1425 H – 2004 AD.

24. Tabl, Dr Hasan, The meaning in Arab Rhetoric, Dar Alfikr Ala'arabi, Cairo, Egypt, cop 1, 1418 H – 1998 AD.

25. - Ibn Ashur, Muhammad Alzahir, Editing and enlightning, D.T, Dar Almaston, Tunisia, 1997 AD.

26. Abdallatif, Dr Muhammad Hamasa, Syntactic sign in Arabic Sentence in tradition and modernism, Kuwait, 1983 AD.

27. Ibn Akil, Baha' Aldin, Ibn Akil's Explanation of Ibn Malik's Millennium, ed. Muhammad Muhi Aldin Abdulhamid, The Pioneer Establishment, Egypt.

28. Alghalini, Shikh Mustafa, Arabic Lesson Collector, sup. Dr Kawkab Deeb Diab, edit1, Modern Books Establishment, Tripoli, Lebanon, 2004 AD.

29. Furari, Sha'dit, the taken in poets' course and authors light, The Arab Writers Union papers, Damascus, 2008 AD.

30. Al-Kafawi, Abu Albaqa', Ayub Bin Musa, Totals-Dictionary of Terminology and Language differences, ed: Adnan Darwish, Muhammad Almasri. S.C, Mu'ssasat Alresalah, Beirut, S.E.

31. Mustafa Ibrahim and others, Alwaseet Dictionary, edit: the Council of Arabic language, part1, Dar AlDa'wa, S.E.

32. Ibn Manzour, Muhammad bin Makram, Arab's Tongue, edit1, Dar Sader, Lebanon.

33. Al-Mousa, Dr Nihad, Arabic Grammar Theory, edit1, Arabic Estabilshment of publishing and studies, Jordan, 14ooH – 1980 AD.

34. Al-Nu'aimi, Dr Hassan Sa'id, Ibn Jinni, Arabic World, Edit1, Public House of cultural Affairs, Baghdad, 1990 AD.

35. Ibn Walad, Ahmad Bin Muhammad, the victory of Sibawayh, edit1, Alresalah Establishment, Beirut, 1416 H- 1996 AD.

36. Ibn Ya'yash, Detailed Explanation, edit Emil Yacoub, copy1, Scientific Books House, Beirut, 1422 H- 2001 AD.

37. Yusuf Mustafa, Dr Omar, Studies in Language and Grammar, Wells House, Damascus, copy1, 2008 AD.

**Magazines and periodicals:**

1. Blhabib, Rashid, Doubt Safety and Words Stages in Arabic Grammar, Tongues magazine, Morocco, No. 45.

2. Lhoeeml, Badis, The Context and situation in sciences key following, AlMukhabir Magazine, Researchers in Language and Algerian Literature, Biskra University, Algeria, No. 9, 2013 AD.

3. Almusa, Dr Nihad, Social Linguistics and tradition, Arabic Magazine for grammatical studies, Volume 4, No. 1, 19851 AD.